تحرير أقوال المفسرين في موقف إبراهيم عليه السلام عند قوله: (هذا ربي) ناظراً أم مناظراً؟

Editing of Commentators' Sayings in the Views of Ibrahim, Peace Be Upon Him, When He Said: (This Is My Lord), Beholding or Debating?

إعداد

د. نبيل محمد مرعي سعيد*

*الأستاذ المساعد في قسم القرآن وعلومه

كلية الشريعة وأصول الدين

جامعة الملك خالد

ملخص البحث:

بدأ الباحث بجمع أقوال المفسرين الواردة عند بيانهم لهذا القول، ثم خلُص الباحث إلى أن مرجع هذه الأقوال كلها تعود إلى قولين رئيسين، القول الأول: إنه كان ناظراً – أي معتقدًا بأن الكوكب ربه – والقول الثاني: إنه كان مناظرًا لقومه، وقد ذكر المفسرون القول الأول على عدة أوجه: ناظراً بعد بلوغه أو حال طفولته أو أثناء البلوغ أو قبل الوحي أو كان ناظراً فيما سبق إلى وهمه وغلب على ظنه، أو نظر إلى ضوء الكوكب فظن أنه ربه، أو أنه تنقل في مراتب الاستدلال، وذكر المفسرون القول الثاني على عدة أوجه: مناظراً بأسلوب الاستدراج، أو المكره على ذلك، أو مناظراً بأسلوب التعريض، أو مناظراً بأسلوب تمهيد الحجة، أو على سبيل الوضع والفرض، أو بأسلوب الاستفهام والإنكار، أو بأسلوب إضمار القول، أو بأسلوب الاستدلال على وجود الإله، أو بأسلوب الاستهزاء، أو بأسلوب التأمل.

ثم نقل الباحث اختيار المفسرين لهذه الأقوال، وأدلة كل قول، والردود عليها، فعمل الباحث على تحرير القول الراجح بعد الرد على أدلة أصحاب القول المرجوح، وبيّن أسباب اختياره للقول الراجح، وهو القول الأول الذي ينص على أن نبي الله إبراهيم عليه السلام كان ناظرًا في مرحلة البحث عن الإله، ويهدف الباحث من هذه الدراسة إلى بيان القول الراجح فيها، وعلل الترجيح لهذا القول، مستخدمًا المنهج الاستقرائي والاستنباطي والوصفي، ومن أهم النتائج التي توصل لها الباحث: أن من يأخذ بأقوال السلف فقد آوى إلى ركن شديد، فالسلف لا يخفى عليهم مكانة نبي الله إبراهيم عليه السلام، ومع ذلك وقع قولهم على هذا؛ لأنهم نقلوه عن علم، ولم يرد قول عنهم مخالف له، فقد كان نبي الله إبراهيم عليه السلام في مرحلة البحث عن الإله الحقيقي، وهذا هو الرُّشد الذي آتاه الله، حيث تُعدُّ مرحلة كمال في شخصيته، ولا تنافي عصمته، والبحث عن الإله لا يعني الإشراك به، وأن اليقين الذي وصل إليه نبي الله إبراهيم عليه السلام تحقَّقَ بعد رؤية الكوكب والشمس والقمر لا قبلها بدلالة سياق المقطع.

الكلمات المفتاحية: تحرير – المفسرين – إبراهيم عليه السلام – هذا ربي – ناظرًا – مناظرًا.

ISSN : 2410-1818

Abstract:

This study dealt with editing of commentators' sayings in the views of Ibrahim, peace be upon him, when he said: (This is my Lord), beholding or debating?

The researcher began to collect commentators' sayings that came when they explained this saying. Then he concluded of all these sayings goes back to two main sayings, the first saying: He was beholding - a belief that the planet is his Lord - and the second saying: He was debating to his own people. The commentators mentioned - the first saying- has several aspects: looking after his puberty, during his childhood and puberty, or before the revelation, or having previously looked at his delusion and overpowered his suspicion or looking at the light of the planet and thought it was his God. Also, the commentators mentioned – the second saying- has several aspects: debate in the manner of exposition, of paving the argument, of placing and imposing, of questioning and denial, of inclusion in saying, of inferring the existence of Lord, of navigating the levels of inference, of mockery, or meditation style.

The researcher transferred the commentators' choice of these sayings, with the evidence and the responses to them. The researcher was editing the most correct saying and explained the reasons for his choice, which is the first saying that states Ibrahim was beholding. This research intends to point out the preponderant opinion in this matter using the inductive, deductive and descriptive method. The results of this study that whoever takes the sayings of the predecessors has taken refuge in a severe corner. The predecessors are not hidden from them the status of Abraham, peace be upon him. The predecessors completely agreed on this saying because they transmitted it knowingly. Abraham, peace be upon him, was in the stage of searching for the true Lord, and this is the guidance that Lord gave him. It is considered a stage of perfection in his character, his imprint is not inconsistent, and the search for God does not mean polytheism with Him. Check after seeing the planet, the sun, and the moon, not before it, in terms of the context of the text.

Key words: editing, commentators, Ibrahim (PBUH), This is my Lord, beholder, debater.

ISSN : 2410-1818

المقدمة:

سبحان من أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، والحمد لله الذي أنزل الكتاب قرآنًا عربيًا غير ذي عوج مصدقًا لما بين يديه من الكتاب، ومهيمنًا عليه، وصلى الله وسلم على الناطق بكل أمر رشيد، والهادي إلى صراط العزيز الحميد أما بعد:

فإن القرآن الكريم كتاب الله المعجز إلى قيام الساعة، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فمن تدبر معانيه؛ وجد من الفوائد والفرائد ما لا يخطر على بال، ومن الآيات الجديرة بالتدبر، تلك التي تحدثت عن أخبار الأنبياء والمرسلين، ففيها العظة والعبرة، وفيها بيان السنن الكونية، والنواميس الإلهية، وخصوصاً أخبار أولي العزم من الرسل، وعلى رأسهم أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، خليل الله، ومصطفاه، ففي قصته المعالم التي تتحدث عن أصول التربية، وسلامة النشأة، وصحة المعتقد، والعمل لدين الله، والصبر على البلاء، والعناية بالقوم، وأسلوب الحجاج، والمناظرة، وقد ذكر الله في القرآن الكريم مواقف عدة لهذا النبي الكريم، منها موقفه في سورة الأنعام، وهو يرى ملكوت السموات والأرض ويحاجّ قومه، فأحببتُ أن أكتب في بيان المقصود من قول الله تعالى على لسان نبي الله إبراهيم عليه السلام: (هذا ربي) حينما رأى الكوكب ابتداءً في هذا الموقف، وهل كان هذا القول ناظراً أم مناظراً؟ وجعلتُ العنوان: "**تحرير أقوال المفسرين في موقف إبراهيم عليه السلام عند قوله: (هذا ربي) ناظراً أم مناظراً؟**" مستعينًا بالله، فهو الهادي لما اختلف فيه من الحق بإذنه.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تكمن أهمية هذا الموضوع في تعلقه بكلام الله جل وعلا، وتناوله لدراسة أشهر موقف من مواقف أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام في سورة الأنعام، حيث اختلف المفسرون عند تفسيرهم لهذه الآية، فجاء هذا البحث ليسلط الضوء على تحرير هذه الأقوال، وبيان الراجح منها، ويعود سبب اختيار الموضوع إلى نقاش دار بين عدد من طلبة العلم[1]، فلفت انتباهي أهمية تحرير أقوال المفسرين في هذا الموقف، وعزمتُ على الكتابة فيه؛ رغبة مني في معرفة القول الراجح.

(1)- مناسبة عامة حضرناها في منزل أحد أعضاء هيئة التدريس بجامعة الملك خالد، ودار النقاش حول موقف إبراهيم عليه السلام عند قوله تعالى على لسان إبراهيم في سورة الأنعام: (هذا ربي) وهل كان ناظراً – معتقداً – أم مناظراً؟ وضم المجلس عددًا كبيرًا من المتخصصين في التفسير وعلوم القرآن، وعلم الحديث، وأصول الفقه، وغيرها من التخصصات، فأورد كل فريق رأياً ودليلاً ورداً وتعليقاً.

ISSN : 2410-1818

مشكلة البحث وتساؤلاته:

مشكلة البحث الأساسية تدور حول نقطتين مهمتين:

الأولى: إن السلف يقولون: إن نبي الله إبراهيم عليه السلام كان ناظراً في هذا الموقف.

والأخيرة: إن جمهور المتأخرين من المفسرين[2] يقولون: إن نبي الله إبراهيم عليه السلام كان مناظراً، وخصوصًا أن له مواقف أخرى صريحة في المناظرة، فأوردوا عدة أدلة تؤيد ما ذهبوا إليه، وتدل على عصمته، وبراءته من الشرك من صغره، وأن الله قد آتاه رشده من قبل، وجعله من الموقنين، فكيف يصح أن نقول بأنه كان ناظراً؟ - من وجهة نظر جمهور المفسرين- وهنا يكمن الإشكال الكبير، فمن تمسك برأي السلف فقد آوى إلى ركن شديد، ومن ذهب إلى قول جمهور المفسرين فدافعه تنزيه نبي الله إبراهيم عليه السلام منذ صغره عن كل منقصة، فهو أعلى وأشرف من أن يأتي عليه وقت من الأوقات وهو غير عارف بالله.

ولعل هذا البحث يجيب عن أهم التساؤلات الآتية:

أيهما أولى بالاحتجاج؟ قول السلف أم جمهور المتأخرين من المفسرين؟ وما هو القول الراجح في هذا الموقف؟ وهل يمكن أن يمر وقت من الأوقات ونبي الله – أيًا كان – غير عارف بالله؟

أهداف البحث:

1. بيان أقوال المفسرين في موقف نبي الله إبراهيم عليه السلام عند قوله: (هذا ربي) ومناقشة أدلتهم، وبيان القول الراجح منها في هذه المسألة.
2. أولوية الاحتجاج والأخذ بقول السلف، خصوصًا عند عدم وجود خلاف بينهم.
3. ذكر علل اختيار القول الراجح.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والنظر في جميع مراكز البحث العلمي، سواء المطبوع أو الإلكتروني، ومراكز الجامعات البحثية، ومواقع المجلات العلمية المحكمة، ومشاريع القصص القرآني، لم أجد من أفرد بحثاً لدراسة موقف نبي الله إبراهيم عليه السلام عند قوله في سورة الأنعام: (هذا ربي) وتحرير أقوال المفسرين الواردة فيها.

([2])- ويقصد بهم: الذين جاؤوا بعد التفسير الروائي، من بعد القرن الثالث.

ISSN : 2410-1818

منهج البحث:

سلكتُ المنهج الاستقرائي والاستنباطي والوصفي؛ لأن طبيعة هذا البحث تستلزم ذلك، والمراد بذلك القيام بتتبع الأقوال وأدلتها، والرد عليها، وتحريرها، للوصول إلى القول الراجح.

إجراءات البحث:

1. دراسة الآيات المتعلقة بموضوع البحث أو تشير لجانب من جوانبه.
2. إبراز أقوال المفسرين الواردة في هذا الموقف، وأدلتهم، ومناقشتها.
3. الالتزام بتوثيق مادة البحث وشواهده، مع تدوين نتائج ما توصل إليه الباحث في الخاتمة.
4. الاقتصار على ما يفي بالغرض المطلوب من هذا البحث، كما هو شأن مثل هذه الأبحاث المحكمة.
5. ذكر نص الآية واسم السورة ورقمها في متن البحث.
6. تخريج الأحاديث النبوية الواردة في البحث من مصادرها، والحكم عليها إذا وردت في غير الصحيحين.
7. أوثق النقل وأعزوه إلى من نقلت عنه في الهامش، بذكر اسم الكتاب والمؤلف بالجزء والصفحة، وفي حالة النقل بالمعنى: يصدر العزو بكلمة: ينظر.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة، وتمهيد ومبحثين وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة: وقد اشتملت على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومشكلة البحث وتساؤلاته، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

المبحث الأول: أقوال المفسرين في موقف نبي الله إبراهيم عليه السلام عند قوله: (هذا ربي)، ومناقشتها وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أقوال المفسرين في موقف نبي الله إبراهيم عليه السلام عند قوله: (هذا ربي).

المطلب الثاني: أدلة أقوال المفسرين في موقف نبي الله إبراهيم عليه السلام عند قوله: (هذا ربي) ومناقشتها.

المبحث الثاني: الرأي الراجح من قول النبي إبراهيم عليه السلام (هذا ربي) وأسباب اختياره، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الرأي الراجح من قول النبي إبراهيم عليه السلام (هذا ربي).

المطلب الثاني: أسباب اختيار الرأي الراجح.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

الفهارس.

ISSN : 2410-1818

تمهيد:

للقصص القرآني جماليات بليغة، ودروس عظيمة، وفيها منهاج حياة، وعظات وعبر، وما عرضها القرآنُ إلا للاستفادة منها، والاقتداء بها، ومن أعظم قصص القرآن جمالًا؛ قصة إبراهيم عليه السلام، حيث وردت في سور عدة من القرآن الكريم، وبأساليب مختلفة، حسب مقاصد السور القرآنية الواردة فيها، وموضوعات المقاطع التي تحدثت عنها، ومن أبرز المواقف التي تحدثت عن شخصية إبراهيم عليه السلام، موقفه في سورة الأنعام، وهو ينظر في الكواكب والقمر والشمس، فقال الله على لسانه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾[الأنعام76 :78]، فاختلف متأخري المفسرين في فهم قوله: (هَٰذَا رَبِّي)، فمنهم من قال بأنه كان ناظرًا، أي: ظن أنه ربه، أو ما سبق إلى فهمه، ومنهم من قال بأنه كان مناظرًا؛ أي: يريد إقامة الحجة على قومه، فاستدرجهم بالموافقة في الظاهر على اعتقادهم، -كما سيأتي معنا تفصيل ذلك في المطلب الأول من المبحث الأول- ، بينما القول الأخير لم نقف على من قال به من طبقة المفسرين من السلف، ومن هذا المنطلق رأيتُ أن أجمع أقوال المفسرين من السلف والخلف، والنظر في أدلتها، ومناقشتها؛ للوصول إلى القول الراجح في هذا الموقف، راجيًا من الله التوفيق والسداد، وأن يجعلَ هذه الدراسة مفيدة لكاتبها، ولكل من يطلع عليها، فإن أصبتُ فمن الله وحده، وإن أخطأتُ فمن نفسي والشيطان، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ISSN : 2410-1818

المبحث الأول

أقوال المفسرين في موقف نبي الله إبراهيم عليه السلام عند قوله: (هذا ربي)، ومناقشتها.

المطلب الأول: أقوال المفسرين في موقف نبي الله إبراهيم عليه السلام عند قوله: (هذا ربي).

ذكر المفسرون من الصحابة والسلف وجمهور المتأخرين من المفسرين عدة أقوال، مآلها كلها إلى قولين رئيسين:

القول الأول: أن النبي إبراهيم عليه السلام كان ناظراً، وهذا القول ذكره المفسرون على سبعة أوجه:

الأول: أنه كان ناظراً بعد بلوغه، وممن ذكر هذا القول أو نقله: ابن عباس[3]، ومحمد بن إسحاق[4]، وقتادة بن دعامة[5]، ومقاتل بن سليمان[6]، وإسماعيل السُّدِّيّ[7]، والفراء[8] والطبري[9]، والزجاج[10]،

([3])- ينظر: تفسير ابن أبي حاتم،1328/4، وجامع البيان، للطبري، 470/11.

([4])- ينظر: تفسير ابن أبي حاتم،2777/4.

([5])- ينظر: تفسير ابن أبي حاتم،1329/4.

([6])- ينظر: تفسير مقاتل، 1/ 571.

([7])- ينظر: تفسير ابن أبي حاتم،1328/4.

([8])- ينظر: معاني القران، للفراء، 341/1.

([9])- ينظر: جامع البيان، للطبري، 470/11.

([10])- ينظر: معاني القران، للزجاج، 2/ 267.

ISSN : 2410-1818

والسمرقندي[11]، ونقله الماوردي[12]، والسمعاني[13]، والبغوي[14]، والزمخشري[15]، وابن عطية[16]، وابن الجوزي[17]، والعز بن عبدالسلام[18]، والقرطبي[19]، والبيضاوي[20]، والشوكاني[21].

والوجه الثاني: بأنه كان ناظراً حال طفولته، وممن ذكر ذلك الطبري حيث قال: وقال آخرون منهم: بل ذلك كان منه في حال طفولته، وقبل قيام الحجة عليه، وتلك حال لا يكون فيها كفر ولا إيمان[22]، ونقل الجصاص قولهم: "أنه قال قبل بلوغه، وقبل إكمال الله تعالى عقله الذي به يصح التكليف، فقال ذلك وقد خطرت بقلبه الأمور وحرَّكته الخواطر والدواعي على الفكر فيما شاهده من الحوادث الدالة على توحيد الله تعالى"[23].

([11])- ينظر: بحر العلوم، للسمرقندي، وقال: هذا بغير فكرة، فكان ذلك منه زلة، 1/ 462.

([12])- ينظر: النكت والعيون، للماوردي، 2/ 136.

([13])- ينظر: تفسير القرآن، لأبي المظفر، السمعاني، 119/2.

([14])- ينظر: تفسير البغوي، 139/2.

([15])- ينظر: الكشاف، للزمخشري، 40/2.

([16])- ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية، 2/ 313.

([17])- ينظر: زاد المسير، لابن الجوزي، 2/ 48.

([18])- ينظر: تفسير العز بن عبدالسلام، 447.

([19])- ينظر: الجامع لأحكام القران، للقرطبي، 7/ 26- 27.

([20])- ينظر: تفسير البيضاوي، 2/ 169.

([21])- ينظر: فتح القدير، للشوكاني، 151/2.

([22])- جامع البيان، للطبري، 470/11.

([23])- ينظر: احكام القران، للجصاص، 4/3.

ISSN : 2410-1818

ونقله الثعلبي [24]، والماوردي[25]، والسمعاني[26]، والبغوي[27]، واحتمله ابن عطية [28]، والعز بن عبدالسلام[29]، والقرطبي[30]، والبيضاوي[31]، والخازن [32]، وابن جزي [33]، ونقله الشوكاني[34].

والوجه الثالث: بأنه كان ناظراً أثناء البلوغ: وممن ذكر هذا الوجه النيسابوري فقال: أنه ذكر ذلك قبل البلوغ فلعله خطر بباله لشدة ذكائه قبل بلوغه إثبات الصانع سبحانه فتفكر فرأى النجم فقال ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ **[الأنعام:76]** ثم إنه تعالى أكمل بلوغه في أثناء هذا الفكر فقال عند أفول الشمس ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ **[الأنعام:78]**[35]. وقال الرازي: فهذا الاحتمال لا بأس به [36].

([24])- ينظر: الكشف والبيان، للثعلبي، 12/ 128-130.

([25])- ينظر: النكت والعيون، للماوردي، 2/ 136.

([26])- ينظر: تفسير القرآن، للسمعاني، 119/2.

([27])- ينظر: تفسير البغوي، 139/2.

([28])- ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية، 2/ 313.

([29])- ينظر: تفسير العز بن عبد السلام، 447.

([30])- ينظر: الجامع لأحكام القران، للقرطبي، 7/ 26- 27.

([31])- ينظر: تفسير البيضاوي، 2/ 169.

([32])- ينظر: تفسير الخازن، 2/ 129.

([33])- ينظر: التسهيل، لابن جزي، 1/ 267.

([34])- ينظر: فتح القدير، للشوكاني، 151/2.

([35])- ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري 3/ 101.

([36])- مفاتيح الغيب، للرازي، 38/13-46.

ISSN : 2410-1818

والوجه الرابع: بأنه كان ناظراً قبل الوحي، ونقله النحاس والثعلبي عن بعض أهل النظر قولهم: إنما قال لهم هذا من قبل أن يوحى إليه واستشهد صاحب هذا القول بقوله تعالى: ﴿قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ **[الأنعام:77]** [37].

والوجه الخامس: بأنه كان ناظراً فيما سبق إلى وهمه وغلب على ظنه: نقل الجصاص قولهم: **أنه قال ذلك في أول حال نظره واستدلاله على** ما سبق إلى وهمه وغلب في ظنه؛ لأن قومه قد كانوا يعبدون الأوثان على أسماء الكواكب فيقولون هذا صنم زحل وصنم الشمس وصنم المشتري، ونحو ذلك[38].
ونقله الماوردي[39]، والبغوي[40] والزمخشري[41] والعز بن عبدالسلام[42] والقرطبي[43] والشوكاني[44].
والوجه السادس: بأنه كان ناظراً إلى ضوء الكوكب ظناً منه أنه ربه: قال القرطبي[45]: وقيل: لما خرج إبراهيم من السرب رأى ضوء الكوكب وهو طالب لربه، فظن أنه ضوؤه قال:" هَٰذَا رَبِّي " أي بأنه يتراءى لي نوره. (فَلَمَّا أَفَلَ) علم أنه ليس بربه." فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغًا " ونظر إلى ضوئه " قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي " وليس هذا شركًا، إنما نسب ذلك الضوء إلى ربه فلما رآه زائلًا دله العلم على أنه غير مستحق لذلك، فنفاه بقلبه وعلم أنه مربوب وليس برب[46].

([37])- ينظر: معاني القران، للنحاس، 1/ 341-342. وينظر: الكشف والبيان، للثعلبي، 12/ 128-130.

([38])- أحكام القران، للجصاص، 4/3.

([39])- النكت والعيون، للماوردي، 2/ 136.

([40])- تفسير البغوي، 139/2.

([41])- الكشاف، للزمخشري، 40/2.

([42])- تفسير العز بن عبدالسلام، 447.

([43])- الجامع لأحكام القران، 7/ 26- 27.

([44])- فتح القدير، للشوكاني، 151/2.

([45])- الجامع لأحكام القران، للقرطبي، 7/ 26- 27.

([46])- الجامع لأحكام القران، للقرطبي، 7/ 26- 27.

ISSN : 2410-1818

الوجه السابع: أنه كان ناظراً بأسلوب التنقل في مراتب الاستدلال: قال ابن القيم: "أو أنه انتقل من مراتب الاستدلال على المعبود حتى أوصله الدليل إلى الذي فطر السماوات والأرض، فوجه إليه وجهه حنيفًا موحدًا، مقبلًا عليه، معرضًا عما سواه، والله سبحانه أعلم"[47].

ورجح القول الأول بأنه كان ناظرًا: إمام المفسرين ابن جرير الطبري في معرض حديثه عند تفسير هذه الآية، فقال: "وفي خبر الله تعالى عن قيل إبراهيم حين أفل القمر: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ **[الأنعام:77]**، الدليلُ على خطأ هذه الأقوال التي قالها هؤلاء القوم -القائلين بأنه مناظرًا- ، وأنّ الصوابَ من القول في ذلك، الإقرارُ بخبر الله تعالى الذي أخبر به عنه، والإعراض عما عداه"[48]، فرجح ابن جرير الطبري كلام السلف، حيث التزم بظاهر النص، وسياق الآيات، **كما هو ظاهر اختيار ابن تيمية فذكر أن قوله:** (هَـٰذَا رَبِّي): إخبار، وليس استخبارًا، وأنكر قول من قال: إنّه استخبار، أُضمر فيه حرف الاستفهام، وأنّ المعنى: (أهذا ربّي)، فقال – رحمه الله - : "وإضمار الاستفهام - إذا دل عليه الكلام - لا يقتضي جواز إضماره في الخبر المخصوص من غير دلالة، فإن هذا يناقض المقصود، ويستلزم أن كل من أراد أن ينفي ما أخبر الله به يقدر أن ينفيه بأن يقدر في خبره استفهامًا، ويجعله استفهام إنكار، وهذا من جهة العربية نظير ما زعمه بعضهم في قول إبراهيم عليه السلام " هذا ربي " أهذا ربي؟ قال ابن الأنباري: هذا القول شاذ؛ لأن حرف الاستفهام لا يضمر إذا كان فارقًا بين الإخبار والاستخبار، وهؤلاء استشهدوا بقوله {أفإن مت فهم الخالدون}، وهذا لا حجة فيه"[49].

فهذه سبعة أوجه ذكرها أصحاب القول الأول، وهي من قبيل اختلاف التنوع، ومردها كلها إلى القول بأنه كان ناظرًا.

([47])- مصباح التفاسير القرآنية الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية، جمع وترتيب/ العاجز الفقير: عبد الرحمن القماش، 5/ 226.

([48])- جامع البيان، للطبري، 470/11.

([49])- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، 422/14.

ISSN : 2410-1818

القول الثاني: أن نبي الله إبراهيم عليه السلام كان مناظراً، وهذا القول ذكره المفسرون على أحد عشر وجهًا:

الوجه الأول: أنه كان مناظراً بأسلوب الاستدراج، وهو أن نبي اللّٰه إبراهيم عليه السلام أراد أن يستدرجهم بهذا القول، ويعرِّفهم خطأهم وجهلهم في تعظيم ما عظَّموا، ويقيم عليهم الحجة، وممن ذكر هذا القول أو نقله: الفراء[50]، والطبري[51]، والثعلبي[52]، وذكره الماوردي[53]، والسمعاني[54]، والبغوي[55]، والخازن[56]، وابن الجوزي[57]، والرازي[58]، والعز بن عبدالسلام[59]، والقرطبي[60]،

([50])- ينظر: معاني القران، للفراء، 341/1.

([51])- ينظر: جامع البيان، للطبري، 470/11.

([52])- ينظر: الكشف والبيان للثعلبي، 12/ 128-130.

([53])- ينظر: النكت والعيون، للماوردي 2/ 136.

([54])- ينظر: تفسير القرآن، للسمعاني، 119/2.

([55])- ينظر: تفسير البغوي، 139/2.

([56])- ينظر: تفسير الخازن، 2/ 129.

([57])- ينظر: زاد المسير، لابن الجوزي، 2/ 48.

([58])- ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، 38/13-46.

([59])- ينظر: تفسير العز بن عبد السلام، 447.

([60])- ينظر: الجامع لأحكام القران، للقرطبي، 7/ 26- 27.

ISSN : 2410-1818

والبيضاوي[61]، والنسفي[62]، والشوكاني[63]، والقاسمي[64]، والألوسي[65]، والمراغي[66]، والسعدي[67]، وأبو زهرة[68]، والأبياري[69].

الوجه الثاني: أنه كان مناظراً بمنزلة المكره على كلمة الكفر، وممن ذكر هذا القول النيسابوري[70]، ونقله: الرازي [71]، والألوسي[72]، وقال ابن عاشور: "وقد يكون فعل ذلك بإذن من الله تعالى بالوحي"[73].

الوجه الثالث: أنه كان مناظراً بأسلوب التعريض[74]، قال الزجاج: (هَذَا رَبِّي) أي **في زعمكم** [75]، **وقال التستري**: كان هذا القول منه تعريضاً لقومه عند حيرة قلوبهم؛ لأنه كان أوتي رشده من قبل،

([61])- ينظر: تفسير البيضاوي، 2/ 169.

([62])- ينظر: تفسير النسفي، 1/ 516.

([63])- ينظر: فتح القدير، للشوكاني، 151/2.

([64])- ينظر: محاسن التأويل، للقاسمي، 402/4.

([65])- ينظر: روح المعاني، للألوسي، 4/ 188-189.

([66])- ينظر: تفسير المراغي، 7 / 170.

([67])- ينظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، 262، وتيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، 198/1.

([68])- ينظر: زهرة التفاسير، 2561.

([69])- ينظر: الموسوعة القرآنية، 9/ 442.

([70])- ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، 3/ 101.

([71])- ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، 38/13-46.

([72])- ينظر: روح المعاني، للألوسي، 4/ 188-189.

([73])- التحرير والتنوير، لابن عاشور، 7/ 318-320.

([74])- ما يفهم به السامع مراده من غير تصريح. التعريفات للجرجاني، 62/1.

([75])- ينظر: معاني القران، للزجاج، 2/ 267.

ISSN : 2410-1818

كما قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ **[الأنعام:75]**[76]، وذكره الرازي[77]، واحتمله ابن عطية[78].

الوجه الرابع: أنه كان مناظراً بأسلوب الموافقة في الظاهر:

ذكر ذلك الرازي بقوله: "فكذا هاهنا أن إبراهيم عليه السلام تكلم بهذه الكلمة ليظهر من نفسه موافقة القوم حتى إذا أورد عليهم الدليل المبطل لقولهم؛ كان قبولهم لذلك الدليل أتم وانتفاعهم باستماعه أكمل، ومما يقوي هذا الوجه: أنه تعالى حكى عنه مثل هذا الطريق في موضع آخر وهو قوله:﴿فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ٨٩﴾ **[الصافات88 :89]**وذلك أنهم كانوا يستدلون بعلم النجوم على الحوادث المستقبلة فوافقهم إبراهيم على هذا الطريق في الظاهر مع إنه كان بريئًا عنه في الباطن؛ ليتوصل بذلك إلى كسر الأصنام، ومقصوده أن يتوسل بهذا الطريق إلى كسر الأصنام فإذا جازت الموافقة في الظاهر هاهنا ، مع أنه كان بريئًا عنه في الباطن، فلم لا يجوز أن يكون في مسألتنا كذلك؟" [79].

الوجه الخامس: أنه كان مناظراً بأسلوب تمهيد الحجة، قال النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين: "هو على وجه تمهيد الحجة، وتقرير الإلزام، ويسميه أصحاب القياس: القياس الخُلف[80]، وهو أن تفرض الأمر الواجب على وجوه لا يمكن ليجب به الممكن"[81]، **قال الجصاص:** "وقد حاجهم إبراهيم عليه السلام بغير ذلك من الحجاج في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ **[الأنعام:76]**روي في التفسير أنه أراد تقرير قومه على صحة استدلاله وبطلان قولهم، فقال: ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ

([76])- تفسير التستري، 62/1.

([77])- ينظر: مفاتيح الغيب للرازي، 38/13-46.

([78])- ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية، 2/ 313.

([79])- ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، 38/13-46.

([80])- وهو إثبات المطلوب بإبطال نقيضه، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، للسبكي، 339/1.

([81])- إيجاز البيان عن معاني القرآن، للنيسابوري، 38/1.

ٱلۡأٓفِلِينَ ﴾[الأنعام:76] . وكان ذلك في ليلة يجتمعون فيها في هياكلهم وعند أصنامهم عيدًا لهم، فقررهم ليلًا على أمر الكوكب عند ظهوره وأفوله وحركته وانتقاله، وأنه لا يجوز أن يكون مثله إلهًا؛ لما ظهرت فيه من آيات الحدث، ثم كذلك في القمر، ثم لما أصبح قررهم على مثله في الشمس حتى قامت الحجة عليهم، ثم كسر أصنامهم، وكان من أمره ما حكاه الله عنه.

وهذه الآية تدل على صحة المحاجة في الدين واستعمال حجج العقول والاستدلال بدلائل الله تعالى على توحيده وصفاته الحسنى، وتدل على أن المحجوج المنقطع يلزمه اتباع الحجة، وترك ما هو عليه من المذهب الذي لا حجة له فيه، وتدل على بطلان قول من لا يرى الحجاج في إثبات الدين؛ لأنه لو كان كذلك لما حاجه إبراهيم عليه السلام وتدل على أن للمحجوج عليه أن ينظر فيما ألزم من الحجاج فإذا لم يجد منه مخرجا صار إلى ما يلزمه، وتدل على أن الحق سبيله أن يقبل بحجته، إذ لا فرق بين الحق والباطل إلا بظهور حجة الحق ودحض حجة الباطل وإلا فلولا الحجة التي بان بها الحق من الباطل لكانت الدعوى موجودة في الجميع فكان لا فرق بينه وبين الباطل"[82]، وقال ابن القيم: " إنها على وجه إقامة الحجة على قومه، فتصور بصورة الموافق، ليكون أدعى إلى القبول، ثم توسل بصورة الموافقة إلى إعلامهم بأنه لا يجوز أن يكون المعبود ناقصا آفلا، فإن المعبود الحق: لا يجوز أن يغيب عن عابديه وخلقه ويأفل عنهم. فإن ذلك مناف لربوبيته لهم"[83].

ونقله الثعلبي[84]، والبغوي[85]، والقرطبي[86]، والخازن[87]، والشوكاني[88].

الوجه السادس: أنه كان مناظراً بأسلوب الوضع[89] والفرض: قال أبو السعود : "قال على سبيل الوضع والفرض (هَٰذَا رَبِّيۖ) مجاراة مع أبيه وقومه الذين كانوا يعبدون الأصنام والكواكب، فإن المستدل على فساد قول يحكيه على رأي خصمه ثم يكر عليه بالإبطال، ولعل سلوك هذه الطريقة في بيان

([82])– أحكام القران، للجصاص، 552/1.

([83])– مدارج السالكين، لابن القيم، 63/3.

([84])– ينظر: الكشف والبيان، للثعلبي، 12/ 128–130.

([85])– ينظر: تفسير البغوي، 139/2.

([86])– ينظر: الجامع لأحكام القران للقرطبي، 7/ 26– 27.

([87])– ينظر: تفسير الخازن، 2/ 129.

([88])– ينظر: فتح القدير، للشوكاني، 151/2.

([89])– جعل اللفظ دليلاً على المعنى، تقريب الوصول لابن جزي الكلبي، ص 155/1.

ISSN : 2410-1818

استحالة ربوبية الكواكب دون بيان استحالة إلهية الأصنام، لما أن هذا أخفى بطلانًا واستحالة من الأول، فلو صدع بالحق من أول الأمر كما فعله في حق عبادة الأصنام لتمادوا في المكابرة والعناد ولجوا في طغيانهم يعمهون"[90].

قال ابن عاشور: "قاله على سبيل الفرض جريًا على معتقد قومه؛ ليصل بهم إلى نقض اعتقادهم، فأظهر أنه موافق لهم ليهشوا إلى ذلك ثم يكر عليهم بالإبطال إظهارًا للإنصاف وطلب الحق، ولا يريبك في هذا أن صدور ما ظاهره كفر على لسانه- عليه السلام- لأنه لما رأى أنه ذلك طريق إلى إرشاد قومه وإنقاذهم من الكفر، واجتهد فرآه أرجى للقبول عندهم ساغ له التصريح به لقصد الوصول إلى الحق وهو لا يعتقده، ولا يزيد قوله هذا قومه كفرًا، كالذي يكره على أن يقول كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، فإنه إذا جاز ذلك لحفظ نفس واحدة وإنقاذها من الهلاك كان جوازه لإنقاذ فريق من الناس من الهلاك في الدنيا والآخرة أولى"[91].

الوجه السابع: أنه كان مناظراً بأسلوب الاستفهام والإنكار، ذكره الطبري فقال: "إنما معنى الكلام: أهذا ربي؟ على وجه الإنكار والتوبيخ، أي: ليس هذا ربي"[92]. ونقله النحاس عن قطرب[93]، ونقله السمرقندي[94]، والجصاص[95]، والثعلبي[96]، والماوردي[97]، والسمعاني[98]، والبغوي[99]، ونقله ابن

([90])- إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، 3/ 153.

([91])- التحرير والتنوير، لابن عاشور، 7/ 318-320.

([92])- جامع البيان، للطبري، 470/11.

([93])- ينظر: معاني القران، للنحاس، 1/ 341-342.

([94])- ينظر: بحر العلوم، للسمرقندي، 1/ 462.

([95])- ينظر: أحكام القران، للجصاص، 4/3.

([96])- ينظر: الكشف والبيان، للثعلبي، 12/ 128-130.

([97])- ينظر: النكت والعيون، للماوردي، 2/ 136.

([98])- ينظر: تفسير القرآن، للسمعاني، 119/2.

([99])- ينظر: تفسير البغوي، 139/2.

ISSN : 2410-1818

عطية عن الطبري[100]، وذكره ابن الجوزي[101]، والعز بن عبدالسلام[102]، والقرطبي[103]، والخازن[104]، وابن جزي[105]، وابن القيم[106]، والنيسابوري[107]، والبقاعي[108]، والالوسي[109]، ونقله الشوكاني[110]، وقال الرازي: "أن المراد منه الاستفهام على سبيل الإنكار إلا أنه أسقط حرف الاستفهام استغناء عنه لدلالة الكلام عليه"[111].

الوجه الثامن: أنه كان مناظراً بأسلوب إضمار القول، قال الزجاج: "وجائز أن يكون على إضمار القول، كأنه قال: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ **[الأنعام:76]**، كأنه قال: تَقُولُون هذا ربي، أي أنتم تقولون هذا رَبي، كما قال جلَّ وعزَّ: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ﴾ **[البقرة:127]** المعنى يقولان تقبل منا"[112]، **وقال النحاس:** "ويجوز أن يكون المعنى: فلما جن عليه الليل رأى كوكبًا يقولون هذا ربي، ثم حذف القول، كما قال جل وعز: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ **[الرعد:23]** فحذف القول"[113]، ونقله

([100])- ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية، 2/ 313.

([101])- ينظر: زاد المسير، لابن الجوزي، 2/ 48.

([102])- ينظر: تفسير العز بن عبدالسلام، 447.

([103])- ينظر: الجامع لأحكام القران، للقرطبي، 7/ 26- 27.

([104])- ينظر: تفسير الخازن، 2/ 129.

([105])- ينظر: التسهيل، لابن جزي، 1/ 267.

([106])- ينظر: مصباح التفاسير القرآنية الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية، 5/ 226.

([107])- ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، 3/ 101.

([108])- ينظر: نظم الدرر، للبقاعي، 7/ 159.

([109])- ينظر: روح المعاني، للألوسي، 4/ 188-189.

([110])- ينظر: فتح القدير، للشوكاني، 2/151.

([111])- مفاتيح الغيب، للرازي، 13/38-46.

([112])- معاني القران، للزجاج، 2/ 267.

([113])- معاني القران، للنحاس، 1/ 341-342.

ISSN : 2410-1818

الثعلبي[114]، والسمعاني[115]، والبغوي[116]، والرازي[117]، والقرطبي[118]، والخازن[119]، وقال النيسابوري: "أو أضمر القول أي يقولون: (هَـٰذَا رَبِّى) وإضمار القول كثير ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ [الزمر: 3] أي يقولون: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ ﴾[الزمر: 3]"[120] ونقله الشوكاني[121].

الوجه التاسع: أنه كان مناظراً بأسلوب الاستدلال: ونقله القرطبي فقال: "وقيل: المعنى في (هَـٰذَا رَبِّى)، أي هذا دليل على ربي"[122]، ونقله الشوكاني[123]، ولعله يقصد هنا بأن هناك دلالة اقتضاء مضمرة قدرها بقوله: (دليل على).

([114])- ينظر: الكشف والبيان، للثعلبي، 12/ 128-130.

([115])- ينظر: تفسير القرآن، للسمعاني، 119/2.

([116])- ينظر: تفسير البغوي، 139/2.

([117])- ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، 38/13-46.

([118])- ينظر: الجامع لأحكام القران، للقرطبي، 7/ 26- 27.

([119])- ينظر: تفسير الخازن، 2/ 129.

([120])- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، 3/ 101.

([121])- ينظر: فتح القدير، للشوكاني، 151/2.

([122])- الجامع لأحكام القران، للقرطبي، 7/ 26- 27.

([123])- ينظر: فتح القدير، للشوكاني، 151/2.

ISSN : 2410-1818

الوجه العاشر: أنه كان مناظراً بأسلوب الاستهزاء:

قال النيسابوري: "أو ذكر هذا الكلام على سبيل الاستهزاء"[124]، ونقله الرازي[125]، وذكره الالوسي[126].

الوجه الحادي عشر: أنه كان مناظراً بأسلوب التأمل:

قال الرازي: "إن القوم لما دعوه إلى عبادة النجوم فكانوا في تلك المناظرة إلى أن طلع النجم الدري فقال إبراهيم عليه السلام (هَٰذَا رَبِّي) أي هذا هو الرب الذي تدعونني إليه ثم سكت زمانًا حتى أفل ثم قال: (لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ)"[127].

وذهب إلى ترجيح القول الثاني بأنه كان مناظرًا: الزجاج[128]، والواحدي[129]، والزمخشري[130]، وابن عطية[131]، وابن جزي[132]، والرازي[133]، وابن كثير[134]، والألوسي[135]، وأبو السعود [136]، والشنقيطي[137].

([124])- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، 3/ 101.

([125])- ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، 13/38-46.

([126])- ينظر: روح المعاني، للألوسي، 4/ 188-189.

([127])- مفاتيح الغيب، للرازي، 13/38-46.

([128])- ينظر: معاني القران، للزجاج، 2/ 267.

([129])- ينظر: تفسير الواحدي، 8/ 247.

([130])- ينظر: الكشاف، للزمخشري، 2/40.

([131])- ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية، 2/ 313.

([132])- ينظر: التسهيل، لابن جزي، 1/ 267.

([133])- ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، 13/38-46.

([134])- ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 3/ 262.

([135])- ينظر: روح المعاني، للألوسي، 4/ 188-189.

([136])- ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، 3/ 153.

([137])-ينظر: العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، للشنقيطي، 1/ 408- 412.

ISSN : 2410-1818

قال ابن كثير : "والحق أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، كان في هذا المقام مناظرًا لقومه، مبينًا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام، فبين في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية، التي هي على صور الملائكة السماوية ليشفعوا لهم إلى الخالق العظيم، الذين هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه، وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكته، ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر، وغير ذلك مما يحتاجون إليه، وبيّن في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل، وهي الكواكب السيارة السبعة المتحيرة، وهي: القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشتري وزحل، وأشدهن إضاءة وأشرفهن عندهم الشمس، ثم القمر ثم الزهرة، فبيَّن أولًا صلوات الله وسلامه عليه أن هذه الزهرة لا تصلح للإلهية، فإنها مسخَّرة مقدرة بسير معين، لا تزيغ عنه يمينًا ولا شمالًا، ولا تملك لنفسها تصرفًا، بل هي جرم من الأجرام خلقها الله منيرة، لما له في ذلك من الحكم العظيمة، وهي تطلع من المشرق، ثم تسير فيما بينه وبين المغرب حتى تغيب عن الأبصار فيه، ثم تبدو في الليلة القابلة على هذا المنوال، ومثل هذه لا تصلح للإلهية، ثم انتقل إلى القمر فبين فيه مثل ما بين في النجم، ثم انتقل إلى الشمس كذلك، فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة التي هي أنور ما تقع عليه الأبصار، وتحقق ذلك بالدليل القاطع، قال ﴿ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ [الأنعام:78]أي أنا بريء من عبادتهن وموالاتهن، فإن كانت آلهة فكيدوني بها جميعًا ثم لا تنظرون ﴿ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩ ﴾ [الأنعام:79]أي إنما أعبد خالق هذه الأشياء ومخترعها ومسخرها ومقدرها ومدبرها، الذي بيده ملكوت كل شيء وخالق كل شيء، وربه ومليكه وإلهه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤ ﴾ [الأعراف:54]"[138].

وقال الشنقيطي -رحمه الله-: "إن هذا القول غلط لا شك فيه، وإن إبراهيم لم يظن يومًا في ربوبية كوكب، ولم يشك يومًا واحدًا في ربوبية الله، هذا التحقيق الواجب اعتماده"[139].

([138])- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 3/ 262.

([139])-العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، للشنقيطي، 1/ 408- 412.

ISSN : 2410-1818

المطلب الثاني: أدلة أقوال المفسرين في موقف نبي الله إبراهيم عليه السلام عند قوله: (هذا ربي) ومناقشتها.

الفرع الأول: أدلة من قال إن إبراهيم عليه السلام كان ناظراً ومناقشتها:

أولاً: أدلة من قال إن إبراهيم عليه السلام كان ناظراً.

الدليل الأول: (ما روي عن الصحابي ابن عباس والسلف من بعده):

روي عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ ﴾**[الأنعام:75]**، يعني به الشمس والقمر والنجوم "﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ ﴾**[الأنعام:76]**"، فعبده حتى غاب، فلما غاب قال: قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ " فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ "، فعبده حتى غاب، فلما غاب قال: ﴿قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ﴾**[الأنعام:78]** فعبدها حتى غابت، فلما غابت قال: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾[140]، **وفي رواية: عن عبد الله بن عباس أنه قال:** خرج في آخر الشهر، فلذلك لم يرَ القمر قبلَ الكوكب، فلمّا كان آخر الليل رأى القمر، ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا ﴾ قد اطّلع قال :﴿ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ ﴾ يقول: غاب، قال :﴿لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾. فلمّا أصبح رأى الشمس بازغة، قال :﴿ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ ﴾: فلمّا غابتْ ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ .قال الله له: ﴿ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة:١٣١] ...[141] .

ومن الأدلة قول السلف: عن إسماعيل السُّدِّيّ في قوله: ﴿ فَلَمَّا ﴾ أصبح ﴿ رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ ﴾ فلمّا غابت ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾، قال الله له: ﴿ أَسۡلِمۡۖ

(140)- جامع البيان، للطبري، 470/11، وتفسير ابن أبي حاتم،1328/4.

(141)- تفسير ابن أبي حاتم،3048/9.

ISSN : 2410-1818

قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[142]. ويفهم من كلام السدي بأنه كان ناظراً، حتى قال: (إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) فأسلم عقب ذلك، بعدما قال الله له: (أَسْلِمْ).

وعن قتادة بن دعامة: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴾ **[الأنعام:76]**: علم أنّ ربه دائم لا يزول[143]. ويفهم من كلام قتادة أن العلم بديمومة الله أتاه بعد هذا النظر.

قال مقاتل بن سليمان، في قوله: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ **[الأنعام:78]**: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً ﴾ يعني: طالعة في أول ما رآها ملأت كل شيء ضوءًا ﴿ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ﴾ يعني: أعظم من الزُّهْرَة والقمر، ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ ﴾ يعني: غابت عرف أنّ الذي خلق هذه الأشياء دائمٌ باقٍ، ورفع الصخرة، ثم خرج فرأى قومه يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما تعبدون؟ قالوا: نعبد ما ترى. ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ﴾، عبادةُ ربٍّ واحد خيرٌ من عبادة أرباب كثيرة، و﴿ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ بالله من الآلهة. قالوا: فمن تعبد يا إبراهيم؟ قال: أعبد الله الذي خلق السموات والأرض حنيفًا، يعني: مخلصًا لعبادته، وما أنا من المشركين. وذلك قوله: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ ﴾ يعني: ديني ﴿ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ﴾ يعني: مُخلِصًا، ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[144]. وفسر مقاتل الآيات على ظاهرها، وجعل نبي الله إبراهيم عليه السلام ناظراً لا مناظراً.

الدليل الثاني: (رواية محمد ابن إسحاق)، قال: أن آزر كان رجلا من أهل كوثى، من قرية بالسوادِ، سواد الكوفة، وكان إذ ذاك ملك المشرق النمرود، فلما أراد الله أن يبعث إبراهيم [عليه السلام، خليل الرحمن، حجة على قومه] ورسولًا إلى عباده، ولم يكن فيما بين نوح وإبراهيم نبيّ إلا هود وصالح، فلما تقارب زمان إبراهيم الذي أراد الله ما أراد، أتى أصحابُ النجوم نمرودَ فقالوا له: تَعَلَّمْ، أنّا نجد في عِلْمنا أن غلامًا يولد في قريتك هذه يقال له "إبراهيم"، يفارق دينكم، ويكسر أوثانكم، في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا. فلما دخلت السنة التي وصف أصحابُ النجوم لنمرود، بعث نمرود إلى كل امرأة حبلى بقريته فحبسها عنده إلا ما كان من أمّ إبراهيم امرأة آزر، فإنه لم يعلم بحبَلها، وذلك أنها كانت امرأة حَدَثة، فيما يذكر، لم تعرف الحبَل في بطنها، ولِمَا أرادَ الله أن يبلغ بولدها،

([142])- تفسير ابن أبي حاتم،1328/4.

([143])- تفسير ابن أبي حاتم،1329/4.

([144])- تفسير مقاتل، 1/ 571.

يريدُ أن يقتل كل غلام ولد في ذلك الشهر من تلك السنة، حذرًا على ملكه. فجعلَ لا تلد امرأة غلامًا في ذلك الشهر من تلك السنة، إلا أمر به فذبح. فلما وجدت أم إبراهيم الطَّلْقَ خرجت ليلا إلى مغارة كانت قريبًا منها، فولدت فيها إبراهيم، وأصلحت من شأنه ما يُصْنَع بالمولود، ثم سَدّت عليه المغارة، ثم رجعت إلى بيتها، ثم كانت تطالعه في المغارة فتنظر ما فعل، فتجده حيًّا يمصّ إبهامه، يزعمون، والله أعلم، أن الله جعل رزق إبراهيم فيها وما يجيئه من مصّه. وكان آزر، فيما يزعمون، سأل أمّ إبراهيم عن حملْها ما فعل، فقالت: ولدت غلامًا فمات! فصدّقها، فسكت عنها. وكان اليوم، فيما يذكرون، على إبراهيم في الشَّباب كالشهر، والشهر كالسنة. فلم يلبث إبراهيم في المغارة إلا خمسة عشر شهرًا حتى قال لأمه: أخرجيني أنظر! فأخرجته عِشاء فنظر، وتفكر في خلق السماوات والأرض، وقال: "إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربّي، ما لي إله غيره"! ثم نظر في السماء فرأى كوكبًا، قال: "هذا ربي"، ثم اتّبعه ينظر إليه ببصره حتى غاب، فلما أفل قال: "لا أحب الآفلين"، ثم طلع القمر فرآه بازغًا، قال: "هذا ربي"، ثم اتّبعه ببصره حتى غاب، فلما أفل قال: "لئن لم يهدني ربّي لأكونن من القوم الضالين"! فلما دخل عليه النهار وطلعت الشمس، أعظَمَ الشمسَ، ورأى شيئًا هو أعظم نورًا من كل شيء رآه قبل ذلك، فقال: "هذا ربي، هذا أكبر"! فلما أفلت قال: "يا قوم إني برئ مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين". ثم رجع إبراهيم إلى أبيه آزر وقد استقامت وجهته، وعرف ربَّه، وبرئ من دين قومه، إلا أنه لم يبادئهم بذلك. وأخبر أنه ابنه، وأخبرته أم إبراهيم أنه ابنه، وأخبرته بما كانت صنعت من شأنه، فسرَّ بذلك آزر وفرح فرحًا شديدًا. وكان آزر يصنع أصنام قومِه التي يعبدونها، ثم يعطيها إبراهيم يبيعها، فيذهب بها إبراهيم، فيما يذكرون، فيقول: "من يشتري ما يضرُّه ولا ينفعه"، فلا يشتريها منه أحد. فإذا بارت عليه، ذهب بها إلى نهر فصوَّبَ فيه رؤوسها، وقال: "شربي"، استهزاء بقومه وما هم عليه من الضلالة، حتى فشا عيبُه إياها واستهزاؤُه بها في قومه وأهل قريته، من غير أن يكون ذلك بلغ نمرودَ الملك[145].

الدليل الثالث: (ما ذكره المفسرون): إن هذا القول لا إنكار فيه ولا غرابة، فقد ورد مثل هذا الموقف في حق محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قَالَ الله تبارك: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى:7][146].

واحتجاجهم بقول إِبْرَاهِيم: ﴿قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [147] وهذا يدل على أنه قال هذا قبل أن يتيقن الحقيقة، وقبل أن يتم له النظر، فبعد أن تم نظره وعلم الحق، قال:

([145])- جامع البيان، للطبري، 11/ 481، وتفسير ابن أبي حاتم،2777/4.

([146])- معاني القران، للفراء، 341/1 ، ومعاني القران، للزجاج، 2/ 267.

([147])- معاني القران، للفراء، 341/1 ، ومعاني القران، للزجاج، 2/ 267.

ISSN : 2410-1818

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ﴾ [الأنعام: الآيتان 78، 79] [148] وقال بعض أهل النظر: إنما قال لهم هذا من قبل أن يوحى إليه[149]، قالوا وهذا يدل على نوع تحير وذلك لا يكون إلا في حال الصغر وقبل البلوغ وقيام الحجة[150].

ثانياً: مناقشة المفسرين لأدلة من قال إن إبراهيم عليه السلام كان ناظراً:

الرد على الدليل الأول: (رواية الصحابي ابن عباس والسلف من بعده): ما نقله الإمام الطبري فقال: وأنكر قوم من غير أهل الرواية هذا القول الذي روي عن ابن عباس وعمن روي عنه، من أن إبراهيم قال للكوكب أو للقمر: "هذا ربي"، وقالوا: غير جائز أن يكون لله نبيٌّ ابتعثه بالرسالة، أتى عليه وقتٌ من الأوقات وهو بالغٌ إلا وهو لله موحدٌ، وبه عارف، ومن كل ما يعبد من دونه برئ.

قالوا: ولو جاز أن يكون قد أتى عليه بعض الأوقات وهو به كافر، لم يجز أن يختصه بالرسالة، لأنه لا معنى فيه إلا وفي غيره من أهل الكفر به مثله، وليس بين الله وبين أحد من خلقه مناسبة، فيحابيه باختصاصه بالكرامة. قالوا: وإنما أكرم من أكرم منهم لفضله في نفسه، فأثابه لاستحقاقه الثوابَ بما أثابه من الكرامة. وزعموا أن خبرَ الله عن قيل إبراهيم عند رؤيته الكوكب أو القمر أو الشمس: "هذا ربي"، لم يكن لجهله بأن ذلك غير جائز أن يكون ربّه، وإنما قال ذلك على وجه الإنكار منه أن يكون ذلك ربه، وعلى العيب لقومه في عبادتهم الأصنام، إذْ كان الكوكبُ والقمرُ والشمسُ أضوأ وأحسنَ وأبهجَ من الأصنام، ولم تكن مع ذلك معبودة، وكانت آفلةً زائلة غير دائمة، والأصنام التي لهي! دونها في الحسن وأصغرَ منها في الجسم، أحقُّ أن لا تكون معبودة ولا آلهة، قالوا: وإنما قال ذلك لهم، معارضةً، كما يقول أحد المتناظرين لصاحبه معارضًا له في قولٍ باطلٍ قال به بباطل من القول، على وجه مطالبته إياه بالفُرْقان بين القولين الفاسدين عنده، اللذين يصحِّح خصمه أحدَهما ويدعي فسادَ الآخر[151]، وممن أنكر صحة الرواية أبو حيان[152]، وابن عطية[153].

([148])- العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيّ فِي التَّفْسِيرِ، للشنقيطي، 1/ 408- 412.

([149])- معاني القران، للنحاس، 1/ 341-342.

([150])- ذكره الخازن في تفسيره، 2/ 129.

([151])- جامع البيان، للطبري، 470/11، وينظر: الكشف والبيان، للثعلبي، 12/ 128-130.

([152])- البحر المحيط، لأبي حيان، 4/ 564- 565.

([153])- المحرر الوجيز، لابن عطية، 2/ 313.

ISSN : 2410-1818

وقال الخازن: "وهذا القول ليس بسديد ولا مرضي؛ لأن الأنبياء معصومون في كل حال من الأحوال، وأنه لا يجوز أن يكون لله عز وجل رسول يأتي عليه وقت من الأوقات إلا وهو بالله عارف، وله موحد، وله من كل منقصة منزه ومن كل معبود سواه بريء، وكيف يتوهم هذا على إبراهيم وقد عصمه الله وطهره وآتاه رشده من قبل وأراه ملكوت السموات والأرض أفبرؤية الكوكب يقول معتقدًا هذا ربي؟! حاشا إبراهيم صلى الله عليه وسلم من ذلك لأن منصبه أعلى وأشرف من ذلك صلى الله عليه وسلم"[154].

ومن الردود على هذه الروايات ما نقله الرازي وتبعه النيسابوري وغيرهم: أن القول بربوبية النجم كفر بالإجماع، والكفر لا يجوز على الأنبياء بالاتفاق[155].

الرد على الدليل الثاني: (رواية محمد بن إسحاق) وقصة الغار، نذكرها فيما يلي:

1. أنه قال بعد القصة: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ **[الأنعام:78]** مع أنه ما كان في الغار لا قوم ولا صنم[156] بل كان سائرًا مع فريق من قومه يشاهدون الكواكب[157].
2. قوله: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ﴾ وفيه دليل على أنه إنما اشتغل بالنظر في الكواكب بعد أن خالط قومه ورآهم يعبدون الأصنام ودعوه إلى عبادتها فقال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ ردًا عليهم وتنبيهًا على فساد قولهم، ويؤكده قوله: ﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ﴾ لأنه يدل على أنهم كانوا قد خوفوه بالأصنام كما في قصة هود: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ﴾ [هود: **54**] ومعلوم أن هذا الكلام لا يليق بالغار[158].
3. أن ظاهر قوله ﴿قَالَ﴾ إنه خاطب بذلك غيره، لأن القول حقيقته الكلام، وإنما يساق الكلام إلى مخاطب. ولذلك كانت حقيقة القول هي ظاهر الآية من لفظها ومن ترتيب نظمها إذ رتب قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾ على قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ **[الأنعام:75]** وقوله: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾[الأنعام: **75**] ورتب ذلك كله على قوله: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً﴾ **[الأنعام:74]** الآية، ولقوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ وإنما يقوله لمخاطب،

([154])- تفسير الخازن، 2/ 129، وينظر: روح المعاني، للألوسي، 4/ 188-189.

([155])- مفاتيح الغيب، للرازي، 13/38-46 وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، 3/ 101.

([156])- ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، 13/38-46 وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، 3/ 101.

([157])- ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، 7/ 318-320.

([158])- ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، 13/38-46 وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، 3/ 101.

ISSN : 2410-1818

ولقوله عقب ذلك: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾، ولأنه اقتصر على إبطال كون الكواكب آلهة واستدل به على براءته مما يشركون مع أنه لا يلزم من بطلان إلهية الكواكب بطلان إلهية أجرام أخرى لولا أن ذلك هو مدعى قومه، فدل ذلك كله على أن إبراهيم- عليه السلام- قال ذلك على سبيل المجادلة لقومه وإرخاء العنان لهم ليصلوا إلى تلقي الحجة ولا ينفروا من أول وهلة فيكون قد جمع جمعًا من قومه وأراد الاستدلال عليهم[159].

4. قوله: ﴿جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ﴾ أي أظلم الليل إظلامًا على إبراهيم، أي كان إبراهيم محوطًا بظلمة الليل، وهو يقتضي أنه كان تحت السماء ولم يكن في بيت[160].
5. **قال أبو حيان:** "وما حكوا من أن أمه أخفته في غار وقت ولادته ... فحكاية يدفعها مساق الآية"[161].
6. قول ابن عطية: "ويضعف عندي أن تكون هذه القصة في الغار لقوله في آخرها: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام: **78**] وهي ألفاظ تقتضي محاجّة وردًا على قوم، وحاله في الغار بعيدة عن مثل هذا، اللهم إلا أن يتأول في ذلك أنه قالها بينه وبين نفسه، أي قال في نفسه معنى العبارة عنه: يا قوم إني بريء مما تشركون، وهذا كما قال الشاعر:

ثم انثنى وقال في التّفكير ... إنّ الحياة اليوم في الكرور

قال القاضي أبو محمد: ومع هذا فالمخاطبة تبعده، ولو قال: يا قوم إني بريء من الإشراك لصح هذا التأويل وقوي، فإن قلنا بأنه وقعت له القصة في الغار في حال الصبوة وعدم التكليف على ما ذهب إليه بعض المفسرين ويحتمله اللفظ فذلك ينقسم على وجهين: إما أن يجعل قوله (هذا رَبِّي) تصميمًا واعتقادًا وهذا باطل؛ لأن التصميم لم يقع من الأنبياء صلوات الله عليهم. وإما أن يجعله تعريضًا للنظر والاستدلال كأنه قال هذا المنير البهي ربي إن عضدت ذلك الدلائل ويجيء إبراهيم عليه السلام كما قال الله تعالى لمحمد عليه السلام: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾ **[الضحى:7]** أي مهمل المعتقد"[162].

([159])- ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، 7/ 318-320.

([160])- ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، 7/ 318-320.

([161])- البحر المحيط، لأبي حيان، 4/ 564- 565.

([162])- المحرر الوجيز، لابن عطية، 2/ 313.

ISSN : 2410-1818

7. قوله عقيب هذه القصة: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام:83]ولم يقل «على نفسه»[163] فعلم أن هذه المباحثة إنما جرت مع قومه لأجل أن يرشدهم إلى الإيمان والتوحيد، لا لأجل أن إبراهيم كان يطلب الدين والمعرفة لنفسه[164].

الرد على الدليل الثالث: (ما ذكره المفسرون)، قال التستري رداً على احتجاجهم: "قيل: ما معنى قوله: (لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى)؟ قال: يعني لئن لم يُدِم لي الهداية، (لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ) ثم قال: كانت ملة إبراهيم عليه السلام السخاوة، وحالة التبري من كل شيء سوى الله تعالى، ألا تراه حين قال جبريل عليه السلام: هل لك حاجة؟ قال: أما إليك فلا. لم يعتمد على أحد سواه في كل حال"[165]، **وقال الزجاج كذلك رداً على استدلالهم** بقوله: (لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ)، "وهذا لا يوجب ذلك؛ لأن الأنبياءَ تسأل اللَّه أن يُثَبِّتَها على الهدى وتعلم أنه لولا هداية اللَّه ما اهتَدَتْ. وإبراهيم يقول: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:35]"[166]، **وقال ابن الجوزي كذلك رداً عليهم بقوله:** "واحتج أرباب هذا القول بقوله تعالى: (لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى) وهذا يدل على نوع تحيير، قالوا: وإنما قال هذا في حال طفولته على ما سبق إلى وهمه، قبل أن يثبت عنده دليل. وهذا القول لا يرتضى، والمتأهِّلون للنبوة محفوظون من مثل هذا على كل حال. فأما قوله: (لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى) فما زال الأنبياء يسألون الهدى، ويتضرّعون في دفع الضّلال عنهم، كقولهم: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾، ولأنه قد آتاه رشده من قبل، وأراه ملكوت السّماوات والأرض ليكون موقناً، فكيف لا يعصمه عن مثل هذا التحيير؟!"[167]. **قال أبو حيان:** "وما حكي عن قوم أن ذلك بعد البلوغ والتكليف ليس بشيء"[168].

([163])- ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، 3/ 101.

([164])- ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، 13/38-46.

([165])- تفسير التستري، 62/1.

([166])- معاني القران، للزجاج، 2/ 267، وينظر: تفسير الخازن، 2/ 129.

([167])- زاد المسير، لابن الجوزي، 2/ 48.

([168])- البحر المحيط، لأبي حيان، 4/ 564- 565.

ISSN : 2410-1818

الفرع الثاني: أدلة من قال إن إبراهيم عليه السلام كان مناظراً ومناقشتها:

أولًا: أدلة من قال إن إبراهيم عليه السلام كان مناظرًا.

ذكر المفسرون عدة أدلة على أن قول إبراهيم عليه السلام (ج ج) كان في مقام المناظرة، وهي الآتي:

الدليل الأول: من الأدلة على أن قول نبي الله إبراهيم عليه السلام (هَذَا رَبِّي) كان في مقام المناظرة بأسلوب الاستدراج:

قال أبو حيان: "فيكون هذا القول منه استدراجًا لإظهار الحجة وتوسلًا إليها كما توسل إلى كسر الأصنام بقوله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۝٨٩﴾ **[الصافات:89]** ، فوافقهم ظاهراً على النظر في النجوم، وأوهمهم أن قوله: (إني سقيم) ناشئ عن نظره فيها"[169]، فاستدل أبو حيان بظاهر الآيات في موقف آخر، قال ابن عاشور: "وتعريف الجزأين مفيد للقصر لأنه لم يقل: هذا رب. فدل على أن إبراهيم عليه السلام أراد استدراج قومه، فابتدأ بإظهار أنه لا يرى تعدد الآلهة ليصل بهم إلى التوحد، واستبقى واحدًا من معبوداتهم، ففرض استحقاقه الإلهية كيلا ينفروا من الإصغاء إلى استدلاله"[170].

الدليل الثاني: من الأدلة على أن قول نبي الله إبراهيم عليه السلام (هَذَا رَبِّي) كان في مقام المناظرة بمنزلة المكره على كلمة الكفر: ما ذكره النيسابوري بقوله: "أو أنه عليه السلام ... ذكر كلامًا يوهم كونه مساعدًا لهم مع أن إبراهيم كان مطمئنًا بالإيمان فكان بمنزلة المكره على كلمة الكفر حيث لم يجد إلى الدعوة المأمور بها طريقا سوى ذلك، وإذا جاز ذكر كلمة الكفر لمصلحة تعود إلى شخص واحد لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ **[النحل:106]** فلأن يجوز ذكرها لتخليص جم غفير من الكفر والعقاب الأبدي أولى.

قالت العلماء: إن المكره على ترك الصلاة لو صلى حتى قتل استحق الأجر. ثم إذا جاء وقت القتال مع الكفار وعلم أنه لو اشتغل بالصلاة انهزم عسكر الإسلام فهنا يجب عليه ترك الصلاة والاشتغال بالقتال، حتى لو صلى وترك القتال أثم.

([169])- البحر المحيط، لأبي حيان، 4/ 564- 565، وينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، 13/38-46.

([170])- التحرير والتنوير، لابن عاشور، 7/ 318-320.

ISSN : 2410-1818

وإن من كان في الصلاة فرأى طفلا أو أعمى أشرف على غرق أو حرق وجب عليه قطع الصلاة لإنقاذهما"[171].

الدليل الثالث: من الأدلة على أن قول نبي الله إبراهيم عليه السلام (هَذَا رَبِّي) كان في مقام المناظرة بأسلوب التعريض:

1- **ما استدل به الزجاج** فقال: "قال لهم (هَذَا رَبِّي) أي في زعمكم كما قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ **[القصص:62]** فأضافهم إلى نفسه حكاية لقولهم"[172].

2- **ما استدل به النيسابوري:** كقول الموحد للمجسم: (الإله جسم محدود) أي في زعمه واعتقاده. ... وقال: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ **[الدخان:49]** أي عند نفسك[173].

3- **ما استدل به الرازي:** بقوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ **[طه:97]**[174]، أي: عندك.

الدليل الرابع: من الأدلة على أن قول نبي الله إبراهيم عليه السلام (هَذَا رَبِّي) كان في مقام المناظرة بأسلوب الموافقة بالظاهر:

استدل الرازي على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ۝٨٩﴾ **[الصافات88 :89]**. فوافقهم إبراهيم على هذا الطريق في الظاهر، مع إنه كان بريئًا عنه في الباطن؛ ليتوصل بذلك إلى كسر الأصنام، فإذا جازت الموافقة في الظاهر هاهنا، مع أنه كان بريئًا عنه في الباطن، فلم لا يجوز أن يكون في مسألتنا هذه؟[175]. ودليلهم هذا هو ما استُدِل به في أسلوب الاستدراج كما سبق.

([171])- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، 3/ 101.

([172])- معاني القران، للزجاج، 2/ 267.

([173])- ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، 3/ 101.

([174])- مفاتيح الغيب، للرازي، 13/38-46.

([175])- ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، 13/38-46، وينظر: البحر المحيط، لأبي حيان، 4/564-565.

ISSN : 2410-1818

الدليل الخامس: من الأدلة على أن قول نبي الله إبراهيم عليه السلام (هَذَا رَبِّي) كان في مقام المناظرة بأسلوب تمهيد الحجة:

قول النحاس: "ومن أحسن ما قيل في هذا ما صح عن ابن عباس أنه قال في قول الله عز وجل: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ **[النور:35]** قال: كذلك قلب المؤمن يعرف الله عز وجل ويستدل عليه بقلبه، فإذا عرفه ازداد نورًا على نور، وكذا إبراهيم عليه السلام عرف الله عز وجل بقلبه واستدل عليه بدلائله، فعلم أن له ربًا وخالقاً، فلما عرَّفه الله عز وجل بنفسه ازداد معرفة فقال: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾ **[الأنعام:80]**"[176].

قال ابن كثير: "ومما يؤيد أنه كان في هذا المقام مناظراً لقومه فيما كانوا فيه من الشرك لا ناظراً قوله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١﴾ **[الأنعام80 :81]"**[177].

وقول السعدي: "والمناظرة تخالف غيرها في أمور كثيرة: منها: أن المناظر يقول الشيء الذي لا يعتقده ليبني عليه حجته، وليقيم الحجة على خصمه، كما قال في تكسيره الأصنام لما قالوا له: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾ **[الأنبياء:62]**، فأشار إلى الصنم الذي لم يكسره فقال: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا﴾ **[الأنبياء:63]**، ومعلوم أن غرضه إلزامهم بالحجة، وقد حصلت، فهنا يسهل علينا فهم معنى قوله: (هَذَا رَبِّي) [الأنعام: **76**] أي: إن كان يستحق الإلهية بعد النظر في حالته ووصفه فهو ربي، مع أنه يعلم العلم اليقيني أنه لا يستحق من الربوبية والإلهية مثقال ذرة، ولكن أراد أن يلزمهم بالحجة"[178].

([176])- الجامع لأحكام القران، للقرطبي، 7/ 26- 27.

([177])- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 3/ 262.

([178])- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، للسعدي، 198/1.

ISSN : 2410-1818

وقال الشنقيطي: "أن الله ذكر أنه قال هذا في سبيل المناظرة والمحاجة، لا في سبيل النظر بنفسه، حيث قال: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ﴾[الأنعام: آية **80**]، وقال: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ **[الأنعام:83]** "[179]، **وقال كذلك**: "أن المناظر إذا أراد أن يفحم خصمه سلم له مقدمة تسليمًا جدليًا[180] ليمكنه أن يفحمه؛ لأنه إذا نفى المقدمة لا يمكن أن يفحمه. فالمعروف في فنون الجدل: أنه لا بد للخصمين من أن يتفقا على قاعدة، وإن اختلفا من الأول لا يمكن أن يفحمه. وعليه فالمعنى: {هَٰذَا رَبِّي} على التسليم الجدلي، وفي زعمكم الكافر الفاسد كما قال الله جل وعلا: ﴿أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡۚ﴾ **[النحل:27]**فنسب إلى نفسه الشركاء{ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ } وليس له شريك (جل وعلا) ليقرعهم، ويوبخهم، كأنه يقول: {هَٰذَا رَبِّي} على التسليم الجدلي والتنزل، وفرض المحال، وتسليم المحال، على قولكم الكاذب الفاسد، فكيف يكون الرب وهو يأفل ويسقط؟ فمقصوده بهذا ليفحمهم، فلو قال لهم عند أول وهلة: الكوكب مخلوق مسخر، لا يمكن أن يكون ربا. لقالوا له: أنت كذاب، الكوكب رب لا محالة. فلما تنزل معهم، وسلم لهم الكذب والمحال أمكنه أن يفحمهم، وعلى هذا فمعنى قوله: { هَٰذَا رَبِّي } أي: في زعمكم الكافر الفاسد. فمن أين يكون الرب وهو يأفل؟ أي يسقط"[181].

الدليل السادس: من الأدلة على أن قول نبي الله إبراهيم عليه السلام (هَذَا رَبِّي) كان في مقام المناظرة بأسلوب الاستفهام والإنكار:

ما ذكره ابن جرير الطبري نقلاً عن بعض المفسرين: "إنما معنى الكلام: أهذا ربي؟ على وجه الإنكار والتوبيخ، أي: ليس هذا ربي. وقالوا: قد تفعل العرب مثل ذلك، فتحذف "الألف" التي تدلّ على معنى الاستفهام. وزعموا أن من ذلك قول الشاعر:

رَفَوْنِي وَقَالُوا: يَا خُوَيْلِدُ، لا تُرَعْ! ... فَقُلْتُ، وَأَنْكَرْتُ الوُجُوهَ: هُمُ هُمُ[182]

يعني: أهم هم؟ قالوا: ومن ذلك قول أوس:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي، وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًا، ... شُعَيْثَ بنَ سَهْمٍ أم شُعَيْثَ بْنَ مِنْقَرِ[183]

([179])–العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، للشنقيطي، 1/ 408– 412.

([180])– أن يفرض المتكلم أو الشاعر فرضا محالا إما منفيا أو مشروطا بحرف الامتناع ليكون ما ذكره ممتنع الوقوع بشرطه ثم يسلم وقوع ذلك تسليما جدليا يدل على عدم الفائدة في وقوعه، الكليات، للكفوي، 295/1.

([181])–العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، للشنقيطي، 1/ 408– 412.

([182])– أبو خراش، خويلد بن مرة، شاعر مخضرم وفارس، ديوان الهذليين، 2/ 144.

([183])– ديوان أوس بن حجر، 49/1.

ISSN : 2410-1818

بمعنى: أشعيث بن سهم؟ فحذف "الألف"[184].

وقول الشاعر:

كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ ... غَلَسَ الظَّلام مِنَ الرَّبَابِ خَيَالاَ [185]

ومعناه: أكذبتك[186].

وكقول الله عز وجل: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ **[الأنبياء:34]** أي: أَفَهُم؟ وكقول موسى عليه السَّلام لفرعون: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ﴾ **[الشعراء:22]** أي: أَوَ تلك نعمة؟[187].

وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال في قوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ **[البلد:11]** إن المعنى أفلا اقتحم، وجعل من ذلك قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ **[الشعراء:22]**[188].

الدليل السابع: من الأدلة على أن قول نبي الله إبراهيم عليه السلام (هَذَا رَبِّي) كان في مقام المناظرة بأسلوب إضمار القول:

ما استدل به الزجاج بقوله: "كما قال جلَّ وعزَّ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ﴾ **[البقرة:127]** المعنى يقولان تقبل منا"[189]، وكما قال جل وعز: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ **[الرعد:23]** فحذف القول [190]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ

([184])- جامع البيان، للطبري، 470/11.

([185])- غياث بن غوث الأخطل في ديوانه ص 84.

([186])- ينظر: أحكام القران، للجصاص، 4/3.

([187])- ينظر: الكشف والبيان، للثعلبي، 12/ 128-130.

([188])- ينظر: روح المعاني، للألوسي، 4/ 188-189، والعَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، للشنقيطي، 1/ 408- 412 .

([189])- معاني القران، للزجاج، 2/ 267 وينظر: الكشف والبيان، للثعلبي، 12/ 128-130.

([190])- ينظر: معاني القران، للنحاس، 1/ 341-342.

ISSN : 2410-1818

أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ [الزمر: 3] معناه: يقولون ما نعبدهم، فكأن إبراهيم قال لقومه: [تقولون] {هَذَا رَبِّي}[191].

وهذا كقوله عز وجل: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ يعني: عندك، وقوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ **[الدخان:49]**: يقوله خزنة النار لأبي جهل -يعني: إنك كذا عند نفسك، فأمَّا عندنا، فلست عزيزًا ولا كريمًا[192].

الدليل الثامن: من الأدلة على أن قول نبي الله إبراهيم عليه السلام (هَذَا رَبِّي) كان في مقام المناظرة، ما جاء في وصف إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم، وهو ما ذكره الزجاج بقوله: "وإبراهيم قد أنبأ اللَّهُ - عز وجل - عنه بقوله: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ **[الصافات:84]**، فلا شك أنه سليمٌ من أن يكون الشك دَخَلَه في أمر اللَّه"[193].

ومثله ذكر بعض المفسرين: أنه تعالى وصفه بقوله: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ **[الصافات:84]**، ومدحه بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ **[الأنبياء:51]** أي من أول زمان الفطرة[194] وأقل مراتب القلب السليم أن يكون سليمًا عن الكفر.

وقوله: ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ **[الأنبياء:51]** أي بطهارته وكماله ونظيره قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ **[الأنعام:124]**[195].

([191])- ينظر: تفسير الواحدي، 8/ 247.

([192])- ينظر: الكشف والبيان، للثعلبي، 12/ 128-130.

([193])- معاني القران، للزجاج، 2/ 267.

([194])- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، 3/ 101.

([195])- مفاتيح الغيب، للرازي، 13/38-46.

ISSN : 2410-1818

ونفى الله تعالى كون الشرك الماضي عن إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:161]، في عدة آيات، ونفي الكون الماضي يستغرق جميع الزمن الماضي، فثبت أنه لم يتقدم عليه شرك يومًا ما[196].

وما استدل ابن كثير على ذلك بقوله: "وكيف يجوز أن يكون إبراهيم ناظرًا في هذا المقام؟ وهو الذي قال الله في حقه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنبياء51 :52] الآيات، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل120 :123] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام:161]، وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**كل مولود يولد على الفطرة**»[197] وفي صحيح مسلم، عن عياض بن حمار، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**قال الله إني خلقت عبادي حنفاء**»[198]، وقال الله في كتابه العزيز: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم:30] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف:172]، ومعناه على أحد القولين كقوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ ... فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة، فكيف يكون إبراهيم الخليل الذي جعله الله أمّة

([196])- أضواء البيان، للشنقيطي، 1/ 486.

([197])- صحيح البخاري، باب: إذا أسلم الصبي فمات، 94/2، برقم (1358)، مسلم، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، 2047/4، برقم (2658).

([198])- صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، 2197/4.

ISSN : 2410-1818

قانتًا لله حنيفًا، ولم يك من المشـــركين، ناظراً في هذا المقام، بل هو أولى الناس بالفطرة الســـليمة والسجية المستقيمة، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا شك ولا ريب"[199].

وقال الشـنقيطي: "ومن أصـرح الأدلة في هذا: أن الله نفى عن إبراهيم كون الشـرك في ماضـي الزمن مطلقًا، حيث قال في آيات كثيرة من كتابه: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:123] ونفي الكون الماضي يستغرق الكون في جميع الزمن كائنًا ما كان، وكذلك قوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:67] هذا جاء في آيات كثيرة، ونفي الإشـراك عنه في الكون الماضـي يدل بدلالة القرآن – دلالة المطابقة[200] – على أنه لم يتقدم له كون إشـــــراك ألبته، والله يقول: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:51] فعلم الله به وبصـلاحه يدل على ذلك، هذا هو الحق الذي لا شك فيه"[201].

الدليل التاســـع: من الأدلة على أن قول نبي الله إبراهيم عليه الســـلام (هَذَا رَبِّي) كان في مقام المناظرة: أن إبراهيم كان قد عرف ربه قبل هذه الواقعة؛ لأن الله تعالى أخبر عنه أنه دعا أباه إلى التوحيـــد بـــالرفق مرارًا بقولـــه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم:42] الآيات. وفي هذا الموضع دعا أباه إلى التوحيد بالكلام الخشن، والدعوة بالرفق مقدمة على الدعوة بالخشونة والغلظة، والدليل على صحة ما ذكرناه أنه تعالى أخبر عنه أنه قال قبل هذه الواقعة لأبيه آزر: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:74]، ومن المعلوم أن من دعا غيره إلى الله تعالى، فإنه يقدم الرفق على العنف واللين على الغلظ، ولا يخوض في التعنيف والتغليظ إلا بعد المدة المديدة واليأس التام، فدل هذا على أن هذه الواقعة إنما وقعت بعد أن دعا أباه

(199)- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 3/ 262.

(200)- فهم السامع من كلام المتكلم كمال المسمى، شرح تنقيح الفصول، للقرافي، 24/1.

(201)-العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، للشنقيطي، 1/ 408- 412 .

ISSN : 2410-1818

إلى التوحيد مرارًا وأطوارًا، ولا شك أنه إنما اشتغل بدعوة أبيه بعد فراغه من مهم نفسه، فثبت أن هذه الواقعة إنما وقعت بعد أن عرف الله بمدة[202].

الدليل العاشر: من الأدلة على أن قول نبي الله إبراهيم عليه السلام (هَذَا رَبِّي) كان في مقام المناظرة: أن هذه الواقعة كانت بعد أن أراه ملكوت السموات والأرض بدليل فاء التعقيب في قوله: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ﴾[203]، حتى رأى من فوق العرش والكرسي وما تحتهما إلى ما تحت الثرى، ومن كان منصبه في الدين كذلك، وعلمه بالله كذلك، كيف يليق به أن يعتقد إلهية الكواكب؟ ... وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ **[الأنعام:75]** أي وليكون بسبب تلك الإراءة من الموقنين ثم قال بعده: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ﴾ والفاء تقتضي الترتيب، فثبت أن هذه الواقعة إنما وقعت بعد أن صار إبراهيم من الموقنين العارفين بربه.[204] لأن الله تعالى قد دل على بطلان هذا التوهم بالإخبار بأنه أراه ملكوت الخافقَين وجعله موقنًا، فأسند الأمر إلى نفسه تنبيهًا لهم[205]. فهذه الرؤية الخاصة التي اهتدى بها إلى طريق عجيب فيه إبكات لقومه ملجىء إياهم للاعتراف بفساد معتقدهم، هي فرع من تلك الإراءة التي عمت ملكوت السماوات والأرض؛ لأن العطف بالفاء يستدعي مزيد الاتصال بين المعطوف والمعطوف عليه لما في معنى الفاء من التفريع والتسبب، ولذلك نعد جعل الزمخشري "فلما جن" عطفًا على "قال إبراهيم لأبيه" [الأنعام: 74]، وجعله ما بينهما اعتراضًا، غير رشيق[206]. وأما كونه جازمًا موقنًا بعدم ربوبية غير الله، فقد دل عليه ترتيب قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾، إلى آخره، «بالفاء» على قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ **[الأنعام:75]**

([202])- ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، 13/38-46، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، 3/ 101.

([203])- ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، 3/ 101.

([204])- ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، 13/38-46.

([205])- ينظر: نظم الدرر، للبقاعي، 7/ 159.

([206])- التحرير والتنوير، لابن عاشور، 7/ 318-320 .

فدل على أنه قال ذلك موقنًا مناظرًا ومحاجًا لهم، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ﴾، وقوله: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ﴾ [الأنعام:83]، والعلم عند الله تعالى[207].

قال الخازن: "وبعض الإيقان ومن كان معه بهذه المنزلة العالية الشريفة لا يليق بحاله أن يعبد الكواكب ويتخذها ربًا"[208]. أفتراه أراه الملكوت ليوقن، فلما أيقن رأى كوكبًا، فقال: {هَذَا رَبِّي} على الاعتقاد؟! والحقيقة هذا ما لا يكون أبدًا[209]. **وقال الشنقيطي**: "أنه أولًا قال رافعًا لهذا الاحتمال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ **[الأنعام:75]** فلما أثبت له اليقين قال بعد ذلك مرتبًا عليه بالفاء: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ **[الأنعام:76]**"[210].

الدليل الحادي عشر: من الأدلة على أن قول نبي الله إبراهيم عليه السلام (هَذَا رَبِّي) كان في مقام المناظرة، استدلال الشنقيطي بما ثبت في الصحيح[211] من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: « **لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، اثنتين منها في ذات الله** .. »[212]، فقال

([207])- ينظر: أضواء البيان، للشنقيطي، 1/ 486.

([208])- تفسير الخازن، 2/ 129.

([209])- ينظر: الكشف والبيان، للثعلبي، 12/ 128-130.

([210])-العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيّ فِي التَّفْسِيرِ، للشنقيطي، 1/ 408- 412 .

([211])- صحيح البخاري، كتاب: النكاح، باب: اتخاذ السراري ومن أعتق جاريته ثم تزوجها، 565/12، برقم (5084).

([212])- والكذبات الثلاث التي يعنيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في حديث أبي هريرة المتفق عليه: **أحدها**: قوله لقومه لما أرادوا أن يخرج معهم إلى عيدهم، وهو يريد أن يتخلف عنهم ليتسنى له تكسير الأصنام: (فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ) **[الصافات88 :93]** فقوله: { إِنِّي سَقِيمٞ } – وهو صحيح – قال بعض العلماء: يريد أني سقيم عليكم، سقيم القلب لخساسة عقولكم، وأنكم تعبدون مع الله جمادات، وأنكم ذاهبون بفعلكم إلى النار. أو: إني سقيم في المستقبل؛ لأن الإنسان لا بد أن يمرض فيأتيه الموت. وفي المعاريض منادح كثيرة عن الكذب، و**الثانية**: هي قوله: (بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا) **[الأنبياء:63]** وبعض العلماء يقول: إنه قال: (بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا) قصده ليلجئهم إلى الإقرار؛ لأن كبيرهم لا يفعل، وأنه جماد لا يفعل شيئا، فكأنه يعرض ويقول: أنتم تعبدون ما لا ينفع ولا يضر، إلى غير ذلك من الأجوبة، أما **الثالثة**: فهي أنه لما هاجر من بلاد قومه، لما أنجاه الله من النار مر على ذلك الجبار في القصة المشهورة الثابت في الصحيحين، وكانت امرأته – سارة – من أجمل النساء، فعلم بها ذاك الجبار فطلبها، ولما قال

ISSN : 2410-1818

– رحمه الله-: "وهذه الكذبات الثلاث التي قالها النبي - صلى الله عليه وسلم - يعني أنها في الصورة كصورة الكذب، وهي في نفس الأمر ليست من حقيقة الكذب، بدليل أنه قال: «اثنتين منها في ذات الله» وكيف يكون الكذب في ذات الله؟ فالذي يأتي في ذات الله هو أحق الحق، وأصدق الصدق ... ولو كان المعنى: أن إبراهيم كان يعتقد أن الكوكب رب، وأن القمر رب، وأن الشمس رب لكان هذا أعظم فرية، وأعظم كذب. فلم يقل النبي: إنه لم يكذب إلا هذه الكذبات، وإن كانت في نفس الأمر ليست بكذبات، إلا أن صورتها كأنها صورة الكذب، وهي في الحقيقة بعيدة من الكذب"[213].

ثانيًا: مناقشة المفسرين لأدلة من قال إن إبراهيم عليه السلام كان مناظرًا:

قال النحاس ردًا على من يقول أن "هذا" بمعنى الاستفهام: وهذا خطأ؛ لأن الاستفهام لا يكون إلا بحرف أو يكون في الكلام (أم) [214]، وبمثله قال السمعاني: "وأما الزجاج وغيره لم يرضوا منه هذا، وقالوا: ليس في كلام العرب " هذا " بمعنى الاستفهام"[215]، وقال ابن عطية [216]: "وهذا كقول الشاعر[217]:

رفوني وقالوا يا خويلد لم ترع ... فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

يريد: أهم هم.

قال القاضي أبو محمد: والبيت الأول لا حجة فيه عندي"[218].

له: ما هي منك؟ قال: هي أختي. ولم يقل: هي زوجتي. خوف أن يغار عليه فيلحقه منه بأس، وجاءها وقال لها: يا سارة، إني قلت لهذا الجبار: إنك أختي، وأنت أختي في الدين، ليس هنا من يدين بدين الإسلام إلا أنا وأنت، فأنت أختي في الإسلام، فلا تكذبيني. في القصة المشهورة الثابت في الصحيح، فلما أدخلت عليه وأراد أن يتناولها بسوء أخذ، فقال لها: ادعي الله لي ولا أعود، فدعت له فبرئ، فهم أن يعود فأخذ أشد من الأول، فقال لخدمه: ما أتيتموني بإنسان، وإنما أتيتموني بشيطان!! وأخدمها هاجر التي أعطتها لإبراهيم، فتسراها وكانت أم إسماعيل. ويذكرون في التاريخ – وقد دل عليه بعض الأحاديث – أن هاجر أصلها بنت ملك القبط – ملك مصر – أخذها منه هذا الملك الجبار، العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ 1/ 408– 412.

([213])–العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، للشنقيطي، 1/ 408– 412.

([214])– معاني القران، للنحاس، 1/ 341–342.

([215])– تفسير القرآن، للسمعاني، 119/2.

([216])– المحرر الوجيز، لابن عطية، 2/ 313.

([217])– أبو خراش، خويلد بن مرة، شاعر مخضرم وفارس، ديوان الهذليين، 2/ 144.

([218])– المحرر الوجيز، لابن عطية، 2/ 313.

ISSN : 2410-1818

وقال ابن الأنباري: "وهذا القول شاذ، لأن حرف الاستفهام لا يضمر إذ كان فارقاً بين الإخبار والاستخبار وظاهر قوله: (هذا رَبِّي) أنه إشارة إلى الصانع"[219].

وهو ما ذهب إليه ابن تيمية فذكر أن قوله: (هذا ربّي): إخبار، وليس استخبارًا، وأنكر قول من قال: إنّه استخبار، أُضمر فيه حرف الاستفهام، وأنّ المعنى: (أهذا ربّي)، فقال – رحمه اللّه - : "وإضمار الاستفهام - إذا دل عليه الكلام - لا يقتضي جواز إضماره في الخبر المخصوص من غير دلالة، فإن هذا يناقض المقصود، ويستلزم أن كل من أراد أن ينفي ما أخبر اللّه به يقدر أن ينفيه بأن يقدر في خبره استفهامًا، ويجعله استفهام إنكار، وهذا من جهة العربية نظير ما زعمه بعضهم في قول إبراهيم عليه السلام " هذا ربي " أهذا ربي؟ ... وهذا لا حجة فيه"[220].

وبما أن جمهور المتأخرين من المفسرين هم أصحاب القول الثاني؛ فنجد أن ردودهم على أقوال بعضهم قليلة، حيث تركزت في الرد على استدلال بعضهم بأن (هذا) بمعنى: أهذا ربي؟ بخلاف ما حصل من ردودهم على أصحاب القول الأول، بينما المتأمل في أدلة أصحاب القول الثاني يجد أن هناك من المآخذ عليها ما يكفي لإعادة النظر فيها، وضعف اعتبارها، وهذا ما سأتناوله في المبحث الثاني عند تحرير القول الراجح وباللّه التوفيق.

([219])– زاد المسير، لابن الجوزي، 2/ 48.

([220])– مجموع الفتاوى، لابن تيمية، 422/14.

ISSN : 2410-1818

المبحث الثاني

الرأي الراجح من قول النبي إبراهيم عليه السلام (هذا ربي) وأسباب اختياره.

المطلب الأول: الرأي الراجح من قول النبي إبراهيم عليه السلام (هذا ربي).

والذي يظهر بعد طول تأمل أن القول الثاني الذي يرى بأن موقف إبراهيم عليه السلام كان مناظراً، له وجاهة، وذلك من حيث إنه قول جمهور متأخري المفسرين، إلا أن هناك ملحوظات كثيرة على استدلالاتهم، سأذكرها في الفقرات الآتية:

أولًا: الرد على استدلالهم ببطلان رواية محمد بن إسحاق من خلال سياق الآيات وذلك بأنه قال بعد القصة: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ **[الأنعام:78]** مع أنه ما كان في الغار لا قوم ولا صنم[221] بل كان سائرًا مع فريق من قومه يشاهدون الكواكب[222]. وبقوله: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ﴾ وفيه دليل على أنه إنما اشتغل بالنظر في الكواكب بعد أن خالط قومه ورآهم يعبدون الأصنام ودعوه إلى عبادتها فقال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ ردًا عليهم وتنبيهًا على فساد قولهم، ويؤكده قوله: ﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ﴾ لأنه يدل على أنهم كانوا قد خوفوه بالأصنام كما في قصة هود: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۖ﴾ [هود: 54] ومعلوم أن هذا الكلام لا يليق بالغار[223] وبظاهر قوله ﴿قَالَ﴾ إنه خاطب بذلك غيره، لأن القول حقيقته الكلام، وإنما يساق الكلام إلى مخاطب.

فيمكننا الرد عليه:

بأن رواية ابن عباس لم تشر إلى كونه في الغار، وكذلك أقوال بقية السلف عدا مقاتل، بينما ردود المفسرين كانت في مغلبها على رواية ابن إسحاق التي أشارت إلى ذلك، وهي من قبيل الإسرائيليات التي تُذكر للاستشهاد لا للاعتقاد[224]، وبقية الروايات تشهد لها من حيث المقصد بأنه كان ناظرًا، فإن صحت هذه الرواية فلا تعارض بينها وبين هذا الموقف، فيُحتمل أنه خرج من الغار، وقابل قومه وجرت هذه المحادثة، ويؤيد هذا الاحتمال ما ذكره مقاتل عند تفسير قوله: (جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ): "دنا من باب السرب وذلك في آخر الشهر فرأى الزهرة أوّل الليل..."[225]. وتجدر الإشارة بأن التشديد في صحة

([221])- مفاتيح الغيب، للرازي، 13/38-46 وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، 3/ 101.

([222])- التحرير والتنوير، لابن عاشور، 7/ 318-320 .

([223])- مفاتيح الغيب، للرازي، 13/38-46 وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، 3/ 101.

([224])- ينظر: مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية، ص 42.

([225])- تفسير مقاتل بن سليمان، 571/1.

ISSN : 2410-1818

أسانيد مرويات التفسير يلزم منه إبطال منهجية كبار المفسرين، كابن أبي حاتم وابن حميد وابن جرير الطبري، كما سيأتي معنا في أسباب الترجيح من المطلب الثاني.

ثانيًا: الرد على استدلالهم: بأن قول نبي الله إبراهيم عليه السلام (هَذَا رَبِّي) كان في مقام المناظرة بأسلوب الاستدراج؛ لإظهار الحجة بقوله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۝٨٩﴾ [الصافات:89] .

فيمكننا الرد عليه:

بأن هذا الموقف الذي استدلوا به كان بعد البعثة، بخلاف موقفه في سورة الأنعام فكان قبل البعثة، كما يرد عليه كذلك بسياق الآيات من أول المقطع إلى آخره، ومنها قول إِبْرَاهِيم عليه السلام: ﴿قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [226]، وهذا يدل على أنه قال هذا قبل أن يتيقن الحقيقة، وقبل أن يتم له النظر، فبعد أن تم نظره وعلم الحق، قال: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: الآيتان 78، 79] [227].

ثالثًا: الرد على استدلالهم: بأنه كان في منزلة المكره على كلمة الكفر، وسردهم لأدلة جواز ذلك[228].

فيمكننا الرد عليه:

بأن هذا الموقف لا يوجد فيه ما يشير إلى وقوع النبي إبراهيم عليه السلام في الكره حتى يلجأ إلى ذكر كلام يُفهم منه أنه معهم، ولو صح أنه كان بمنزلة المكره لما صرح بالبراءة منهم ومن شركهم في ختام الموقف؛ خشية منهم، وكذلك لو صح أنه كان مكرهًا فقال هذا القول مسايرة لقومه، لكانت مسايرته لهم بعد موقف تحطيم الأصنام وتهديدهم له بالإحراق أولى، ولما واجه النار بجسده، وذاك الموقف أشد خطرًا، وأعظم كرهًا من هذا، فثبت تجاه قومه، ولم يخش على نفسه من بطشهم، ومن نارهم.

رابعًا: الرد على استدلالهم: بأن قول النبي إبراهيم عليه السلام (هذا ربي) كان على الظاهر بدليل قوله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۝٨٩﴾ [الصافات88 :89]. بموافقتهم على هذا الطريق في الظاهر، مع إنه كان بريئًا عن المرض في الباطن [229].

([226])- معاني القران، للفراء، 341/1 ، ومعاني القران، للزجاج، 2/ 267.

([227])- العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيّ فِي التَّفْسِيرِ، للشنقيطي، 1/ 408- 412.

(228)- ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، 38/13-46 ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، 3/ 101 ، وروح المعاني، للألوسي، 4/ 188-189.

([229])- ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، 38/13-46، وينظر: البحر المحيط، لأبي حيان، 564/4-565.

ISSN : 2410-1818

فيمكننا الرد عليه:

بأن هذا الموقف المذكور في سورة الصافات كان بعد البعثة، بخلاف موقفه في سورة الأنعام فكان قبل البعثة في مرحلة الإعداد الإلهي له، وما كان بعد البعثة فقد بينه صلى الله عليه وسلم بحديث الكذبات الثلاث فقال: «**لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، اثنتين منها في ذات الله** .. »[230].

خامسًا: الرد على استدلالهم: بأن قول النبي إبراهيم عليه السلام (هذا ربي) كان بأسلوب الاستفهام أو الإنكار أو إضمار القول أو في زعمكم[231].

فيمكننا الرد عليه:

بأن القول بالإضمار أو التقدير خلاف الأصل، وأن ظاهر النص يدل على ما ذهب إليه أصحاب القول الأول، وقد اشترط العلماء لصحة حمل اللفظ على معنى معين بخلاف الظاهر: أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى المعنى المراد بذلك اللفظ الذي حُملَ عليه[232].

ويُرد عليهم كذلك بقول النحاس على من يقول أن "هذا" بمعنى الاستفهام فقال: "وهذا خطأ؛ لأن الاستفهام لا يكون إلا بحرف أو يكون في الكلام (أم)"[233]، وبمثله قال السمعاني[234]، وابن عطية [235]، وابن الأنباري[236]، وابن تيمية [237].

كما يُرد عليه بأن هذا القول قد يُحتمل في حالة وجود قول مخالف لقول السلف من طبقة السلف المفسرين، فيمكن أن ننظر حينها في الجانب اللغوي، وأما دليلهم في هذه الحالة لا يدل صراحة على أنه كان مناظراً، وفي مثل هذا السياق، **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله**: وأما تفسيره بمجرد ما يحتمله اللفظ المجرد عن سائر ما يبين معناه فهذا منشأ الغلط من الغالطين؛ لا سيما كثير ممن يتكلم فيه بالاحتمالات اللغوية. فإن هؤلاء أكثر غلطًا من المفسرين المشهورين؛ فإنهم لا يقصدون معرفة معناه كما يقصد ذلك المفسرون، وأعظم غلطًا من هؤلاء وهؤلاء من لا يكون قصده معرفة مراد الله؛

([230])- صحيح البخاري، كتاب: النكاح، باب: اتخاذ السراري ومن أعتق جاريته ثم تزوجها، 565/12 برقم (5084).

([231])- ينظر: الوجه الثالث والسابع والثامن في المبحث الأول من هذا البحث.

([232])- ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، 360/6.

([233])- معاني القران، للنحاس، 1/ 341-342.

([234])- ينظر: تفسير القرآن، للسمعاني، 119/2.

([235])- ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية، 2/ 313.

([236])- ينظر: زاد المسير، لابن الجوزي، 2/ 48.

([237])- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، 422/14.

ISSN : 2410-1818

بل قصده تأويل الآية بما يدفع خصمه عن الاحتجاج بها وهؤلاء يقعون في أنواع من التحريف ولهذا جوز من جوز منهم أن تتأول الآية بخلاف تأويل السلف وقالوا: إذا اختلف الناس في تأويل الآية على قولين جاز لمن بعدهم إحداث قول ثالث؛ بخلاف ما إذا اختلفوا في الأحكام على قولين وهذا خطأ فإنهم إذا أجمعوا على أن المراد بالآية إما هذا وإما هذا كان القول بأن المراد غير هذين القولين خلافًا لإجماعهم؛ ولكن هذه طريق من يقصد الدفع لا يقصد معرفة المراد وإلا فكيف يجوز أن تضل الأمة عن فهم القرآن ويفهمون منه كلهم غير المراد [ويأتي] متأخرون يفهمون المراد[238].

وقال: فلما طال الزمان خفي على كثير من الناس ما كان ظاهرًا لهم، ودق على كثير من الناس ما كان جليًا لهم، فكثر من المتأخرين مخالفة الكتاب والسنة ما لم يكن مثل هذا في السلف[239].

سادسًا: الرد على استدلالهم بأنه كان مناظراً بأسلوب الاستدلال: وقالوا: المعنى في (مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ)، أي هذا دليل على ربي[240].

فيمكننا الرد عليه:

بأن هذا القول ضعيف، ودليل ضعفه بأن هذا الكوكب أفل، فهل يبقى دليل على الربوبية؟!

سابعًا: الرد على استدلالهم بما جاء في وصف نبي الله إبراهيم عليه السلام في القرآن بقوله: ﴿إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ٨٤﴾ **[الصافات:84]**، ومدحه بقوله: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ﴾ **[الأنبياء:51]** أي من أول زمان الفطرة[241]، وأقل مراتب القلب السليم أن يكون سليمًا عن الكفر، وأيضًا مدحه فقال: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ٥١﴾ **[الأنبياء:51]** أي آتيناه رشده من قبل من أول زمان الفكرة. وقوله: (وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ) أي بطهارته وكماله[242]، فالله تعالى

([238])- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، 94/15.

([239])- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، 65/13.

([240])- الجامع لأحكام القران، للقرطبي، 7/ 26- 27، وفتح القدير، للشوكاني، 151/2.

([241])- ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، 3/ 101.

([242])- ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، 38/13-46.

ISSN : 2410-1818

نفى كون الشرك الماضي عن إبراهيم في قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ **[الأنعام:161]**، في عدة آيات، ونفي الكون الماضي يستغرق جميع الزمن الماضي، فثبت أنه لم يتقدم عليه شرك يوما ما[243].

فيمكننا الرد عليه:

بأن قوله: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ **[الصافات:84]**، كان هذا المجيء بعد أن هداه الله، فقال لأبيه وقومه: ماذا تعبدون؟

وأما قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ **[الأنبياء:51]**، والرشد هنا هو هداية إرشاد لمعرفة الإله، فأراه ملكوت السموات والأرض ليصل إلى رتبة اليقين، ولذا قال بعدها: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ **[الأنبياء:52]**.

وأما قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ **[الأنعام:161]**، فنفي الشرك عنه في الماضي لا يلزم منه أنه كان عارفًا الإله الحقيقي من بداية أمره، فمرحلة البحث عن الإله ليست شركاً بالله، وهذا هو الخلط الذي وقع فيه الكثير من المفسرين حينما ذهبوا إلى القول بأن من يقول كان إبراهيم ناظراً فقد نسب إليه الكفر، وحاشاه عليه السلام، وإنما المقصود من كونه ناظرًا؛ أنه يبحث عن الإله الحقيقي، فتدرج بذلك حتى هداه الله، وسياق الآيات في سورة الأنعام تؤيد هذا، ومنها قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ **[الأنعام:78]**.

ثامنًا: الرد على استدلالهم بـ : أن إبراهيم كان قد عرف ربه قبل هذه الواقعة لأن الله تعالى أخبر عنه أنه دعا أباه إلى التوحيد بالرفق مرارًا بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ **[مريم:42]** الآيات. وفي هذا الموضع دعا أباه إلى التوحيد بالكلام الخشن، والدعوة بالرفق مقدمة على الدعوة بالخشونة والغلظة، ... والدليل على صحة ما ذكرناه أنه تعالى أخبر عنه أنه قال قبل هذه الواقعة لأبيه آزر: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ **[الأنعام:74]**[244].

([243])- ينظر: أضواء البيان، للشنقيطي، 1/ 486 والعذب المنير من مجالس الشنقيطي في التفسير، للشنقيطي، 1/408-412.

([244])- ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، 13/38-46 وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، 3/ 101.

ISSN : 2410-1818

فيمكننا الرد عليه:

بأن استدلالهم عبارة عن قرينة استندوا عليها، وهي أن أسلوب التلطف يسبق أسلوب الحزم، وهذا ليس دليلاً على صحة ما ذهبوا إليه، بل الظاهر أن موقف إبراهيم في "مريم" جاء بعد موقفه في "الأنعام" والسياق العام يؤيد ذلك ويقويه، وأدل دليلٍ على هذا أنه قال في عقب موقفه في سورة مريم: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ **[مريم:49]**، فكيف يمكن لإبراهيم أن يعود بعد هذا المشهد لمناقشة أبيه كما ورد في سورة الأنعام؟!.

وأما استدلاله على ذلك بقوله قبل هذه الواقعة لأبيه آزر: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، فهذا لا يُعد دليلًا صريحًا على قِدم الواقعة؛ لأن قوله هذا مما ترشده إليه الفطرة السليمة لبداهتها، وهو يرى الأصنام التي لا تسمع ولا ترى ولا تتكلم، لا يمكن أن تنفع، وهذا من المعلوم بالضرورة، فالنتيجة إذًا؛ إن هذه الأصنام لا تصلح أن تكون آلهة، فكيف تُعبد؟ ، وكيف يكون الإله على شكل حجر منحوت؟!

فهو يلفت الانتباه إلى أهمية البحث عن الإله الذي يستحق، لا أن يكون في صورة صنم، فقال لهم هذا القول على سبيل الاستفهام؛ فإن لم يكن هذا هو الضلال فكيف يكون؟!

ومما يؤكد قِدم موقفه في سورة الأنعام، وأنه قبل البعثة؛ سياق الآيات من أول المقطع، وخلوها مما يدل على معرفة الله ابتداءً، فإنّ الله سبحانه قال قبل حكاية هذه القصة: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ **[الأنعام:75]**، وفي هذا دليل على أنّه كان ناظراً، وقوله: (وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ) دليل على أنّه لم يكن كذلك من قبل، حتى انتهت المحاورة فقال: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ **[الأنعام:79]**، بخلاف مواقفه في بقية السور القرآنية، فقد نص الله فيها من البداية ما يدل صراحةً على أنه كان في مرحلة البعثة، فقال في سورة مريم: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ **[مريم:41]**، وكذلك في سورة الأنبياء فقال: ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ **[الأنبياء:56]**، وكذلك في سورة الشعراء فقال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾ **[الشعراء77 :78]**.

ISSN : 2410-1818

تاسعًا: الرد على استدلالهم بأن هذه الواقعة كانت بعد أن أراه ملكوت السموات والأرض، وأصبح موقنًا؛ بدليل فاء التعقيب في قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾[245].

فيمكننا الرد عليه:

بأن هذا الاستدلال قد جانب الصواب، ويرد عليه سياق الآيات، حيث قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾ **[الأنعام:75]**، فاليقين لا يتحقق إلا بعد الإراءة لا قبلها، كما يرد عليه قوله تعالى بعدها: ﴿قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ **[الأنعام:77]** فكيف أيقن وهو لا يزال يطلب الهداية؟ وبالتالي فإن مرحلة اليقين بدأت بخطوات، أولاها: رؤية الكوكب ثم القمر ثم الشمس، وهذه الرؤية وفق هذا التدرج مكافأة من الله له؛ لكي يطلع على معبودات أهل الأرض، وأنها لا تستحق العبادة، حتى استسلم وقال: (لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي)، فحصل له اليقين بعد ذلك، وهذا ما تحقق بقوله: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ **[الأنعام:78]**، ومما يؤيد هذا هو قوله: (نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ) فكانت أول رؤية منصوص عليها هي قوله (رَءَا كَوۡكَبٗا)، فأراه الكوكب ثم القمر ثم الشمس – ملكوت السموات-؛ ليكون من الموقنين، وبدليل قوله: (وَلِيَكُونَ) اللام للتعليل، علل سبحانه وتعالى هذا التدرج بعلة الوصول إلى اليقين، وبالتالي فإن فاء العاقبة أو التفريع في قوله: (فَلَمَّا جَنَّ) دليل عليهم وليس لهم؛ لأن عاقبة هذه الإراءة هي وصوله إلى اليقين.

قال الجصاص: "وهذا الاستدلال الذي سلك إبراهيم طريقه من أصح ما يكون من الاستدلال وأوضحه، وذلك أنه لما رأى الكوكب في علوه وضيائه، قرر نفسه على ما ينقسم إليه حكمه من كونه رباً خالقًا أو مخلوقًا مربوبًا، فلما رآه طالعًا آفلًا ومتحركًا زائلًا قضى بأنه محدث لمقارنته لدلالات الحدث وأنه ليس برب؛ لأنه علم أن المحدث غير قادر على إحداث الأجسام، وأن ذلك مستحيل فيه كما استحال ذلك منه إذ كان محدثًا، فحكم بمساواته له في جهة الحدوث وامتناع كونه خالقًا ربًا، ثم لما طلع القمر فوجده من العظم والإشراق وانبساط النور على خلاف الكوكب قرر أيضًا نفسه على حكمه فقال: هذا ربي، فلما راعاه وتأمل وجده في معناه في باب مقارنته للحوادث من الطلوع والأفول والانتقال والزوال حكم له بحكمه وإن كان أكبر وأضوأ منه، ولم يمنعه ما شاهد من اختلافهما من العظم والضياء من أن يقضي به بالحدوث لوجود دلالات الحدث فيه ثم لما أصبح رأى الشمس طالعة في عظمها وإشراقها وتكامل ضيائها قال: (مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ) لأنها بخلاف الكوكب والقمر في هذه

([245])- ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي، 13/38-46 وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، 3/ 101.

ISSN : 2410-1818

الأوصاف، ثم لما رآها آفلة منتقلة حكم لها بالحدوث أيضا وأنها في حكم الكوكب والقمر لشمول دلالة الحدث للجميع"[246].

وقال ابن القيم: "انتقل من مراتب الاستدلال على المعبود حتى أوصله الدليل إلى الذي فطر السماوات والأرض، فوجه إليه وجهه حنيفًا موحدًا، مقبلًا عليه، معرضًا عما سواه"[247].

قال الألوسي: "ويحتمل أن يكون تفصيلًا لما ذكر من إراءة الملكوت وبيانًا لكيفية استدلاله عليه السلام، ووصوله إلى رتبة الإيقان، والترتيب ذكريٌّ لتأخر التفصيل عن الإجمال في الذكر"[248]. وقال القاسمي: "وبالجملة، فالآية بيان لكيفية استدلاله عليه الصلاة والسلام، ووصوله إلى رتبة الإيقان"[249].

عاشرًا: الرد على استدلالهم: بقوله عقيب هذه القصة: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ **[الأنعام:83]**ولم يقل «على نفسه»[250] فعلم أن هذه المباحثة إنما جرت مع قومه لأجل أن يرشدهم إلى الإيمان والتوحيد، لا لأجل أن إبراهيم كان يطلب الدين والمعرفة لنفسه[251].

ويمكننا الرد عليه:

بأن من معاني الحجة: الدلالة المبينة للمحجة، أي: المقصد المستقيم الذي يقتضي صحة أحد النقيضين[252]، قال الأزهري: "وإنما سميت حجة لأنها تحج أي تقصد؛ لأن القصد لها وإليها. وكذلك محجة الطريق هي المقصد والمسلك"[253]، ومن الباب المحجة، وهي جادة الطريق، قال:

ألا بلغا عني حريثا رسالة ... فإنك عن قصد المحجة أنكب

([246])- أحكام القران، للجصاص، 4/3.

([247])- مصباح التفاسير القرآنية الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية، جمع وترتيب/ العاجز الفقير: عبد الرحمن القماش، 5/ 226.

([248])- روح المعاني، للألوسي، 4/ 188-189.

([249])- محاسن التأويل، للقاسمي، 402/4.

([250])- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، 3/ 101.

([251])- مفاتيح الغيب، للرازي، 38/13-46.

([252])- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ص 107.

([253])- تهذيب اللغة، للأزهري، 251/3.

ISSN : 2410-1818

وممكن أن يكون الحجة مشتقة من هذا؛ لأنها تقصد، أو بها يقصد الحق المطلوب[254]، وقال مجاهد: "وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه"، هي: "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم"[255]، وقال الشوكاني عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: "أي حجة على قومه نرفع درجات من نشاء بالهداية والإرشاد إلى الحق وتلقين الحجة، أو بما هو أعم من ذلك"[256].

ويتضح مما سبق بأن المقصود بالحجة هنا هي الهداية حيث قال قبلها: ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۖ﴾، فكانت هذه الحجة التي آتاه الله هي الهداية، وهي حجة عليهم إن لم يؤمنوا كما آمن، بدليل سياق الآيات بعدها حيث كرر امتنانه عليه وعلى الأنبياء من بعده بنعمة الهداية فقال تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا **هَدَيْنَا** وَنُوحًا **هَدَيْنَا** مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ **وَهَدَيْنَاهُمْ** إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (87) ذَلِكَ **هُدَى** اللَّهِ **يَهْدِي** بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (88) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (89) أُولَئِكَ الَّذِينَ **هَدَى** اللَّهُ **فَبِهُدَاهُمُ** اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ (90)) [الأنعام 84: 90] ، فهذا الاستدلال عليهم لا لهم.

الحادي عشر: الرد على استدلال الشنقيطي على أن قول نبي الله إبراهيم عليه السلام (هَذَا رَبِّي) كان في مقام المناظرة، بحديث أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، اثنتين منها في ذات الله .. »[257]، حيث ذكر – رحمه الله-: أن هذه الكذبات الثلاث التي قالها النبي - صلى الله عليه وسلم - يعني أنها في الصورة كصورة الكذب، وهي في نفس الأمر ليست من حقيقة الكذب، بدليل أنه قال: «اثنتين منها في ذات الله» وكيف يكون الكذب في ذات الله؟ فالذي يأتي في ذات الله هو أحق الحق، وأصدق الصدق ... ولو كان المعنى: أن

([254])- مقاييس اللغة، للأزهري، 30/2.

([255])- جامع البيان، للطبري، 504/11.

([256])- فتح القدير، للشوكاني، 154/2.

([257])- صحيح البخاري، كتاب: النكاح، باب: اتخاذ السراري ومن أعتق جاريته ثم تزوجها، 565/12 برقم (5084).

ISSN : 2410-1818

إبراهيم كان يعتقد أن الكوكب رب، وأن القمر رب، وأن الشمس رب لكان هذا أعظم فرية، وأعظم كذب، فلماذا لم يذكره النبي صلى الله عليه وسلم؟[258].

ويمكننا الرد عليه:

بأن المواقف الثلاثة المذكورة في الحديث كانت بعد البعثة، وبالتالي لا يصح أن يُنسب له الكذب الصريح، بخلاف هذا الموقف كان قبل البعثة، في مرحلة الإعداد الإلهي له، ولذلك فإن استدلال الشنقيطي بهذا الدليل لا يصح، ولو سلمنا جدلًا بأن إبراهيم كان في مقام المناظرة وقال: (هذا ربي) لعُدَّ هذا القول من الكذبات؛ لأنه يخالف اعتقاده، فهذا الدليل عليه لا له، بل الصواب أن يُقال بأن هذا الدليل يدل على أنه كان ناظرًا.

تنبيه:

وقد يخطر ببال القارئ أن إبراهيم عليه السلام أُوتي النبوة وهو صغير في السن بدليل قوله: (سَمِعْنَا فَتًى) أي صغيرًا، والصواب بأن قولهم: (فتى) القصد منه: التقليل من شأنه، والتحقير لشخصه، فهو ليس رجلًا كبيرًا وعاقلًا؛ لأن ما قام به لا يدل على كمال شخصيته – من وجهة نظرهم -، هكذا يرونه، ولذلك لم يصرحوا باسمه، مع أنه معروف لديهم، وإنما تجاهلوه إلى حد قولهم (يُقال له إبراهيم) هكذا "يُقال"، مترفعين عن التصريح باسمه، قال ابن عاشور: " أرادوا تحقيره بأنه مجهول لا يُعرف، وإنما يُدعى أو يُسمى إبراهيم، أي ليس هو من الناس المعروفين"[259]، بينما إبراهيم عليه السلام ما بُعث إلا وهو شاب، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ما بعث الله نبيًا إلا وهو شاب، ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب[260].

وبعد هذا التحليق في كتب المفسرين من السلف، وكتب جمهور متأخري المفسرين، حتى القرن الرابع عشر، وبعد النظر في أقوالهم، واستدلالاتهم، ومناقشتها، يظهر بعد طول تأمل أن القول الأول الذي يرى بأن موقف إبراهيم عليه السلام كان ناظراً، ولم نعلم له مخالف من السلف، واختاره ابن جرير الطبري[261]؛ وظاهر اختيار ابن تيمية[262] هو القول الراجح؛ لما سبق من الرد على أهم أدلة أصحاب القول الثاني، وتفنيدها، وللأسباب التي سنذكرها في المطلب التالي، والله الموفق.

([258])- ينظر: العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيّ فِي التَّفْسِيرِ، للشنقيطي، 1/ 408- 412.

([259])- التحرير والتنوير، لابن عاشور، 99/17.

([260])- تفسير ابن أبي حاتم، 2350/7.

([261])- ينظر: جامع البيان، للطبري، 470/11.

([262])- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، 422/14.

ISSN : 2410-1818

المطلب الثاني: أسباب اختيار الرأي الراجح.

تعود أسباب اختيار الرأي الراجح إلى الآتي:

أولاً: ما ذكرته من الرد على أدلة أصحاب القول الثاني في المطلب الأول من المبحث الثاني.

ثانيًا: ظاهر الآيات والسياق القرآن في سورة الأنعام، والترجيح بظاهر الآيات ودلالة السياق القرآني هو منهج كبار المفسرين والأصوليين وغيرهم[263].

ثالثًا: قول الصحابي (ابن عباس رضي الله عنهما) ولم يُعلم له مخالف من الصحابة أو السلف من بعده، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (جئتكم من عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فيكم منهم أحد، ومن عند ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم نزل القرآن وهو أعلم بتأويله[264]، وذكر ابن جزي من وجوه الترجيح: أن يكون القول قول من يقتدي به من الصحابة كالخلفاء الأربعة، وعبدالله بن عباس رضي الله عنهما لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"[265]، وفي هذه الآثار دليل على أنهم أعلم الناس بتأويل القرآن، قال ابن جرير الطبري: "وذلك تأويل يكفي من الشهادة على خطئه خلافه قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين"[266]، وهو ما قرره في تفسيره عند ترجيحه لأقوال السلف بصيغ مختلفة[267]، وقال ابن القيم: كلما كان العهد بالرسول أقرب كان الصواب أغلب[268]، ومن الأدلة على الاحتجاج بقولهم؛ قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ **[التوبة:100]**، ويستفاد منها:

([263])- ينظر: جامع البيان، للطبري، 344/3، والمحرر الوجيز، لابن عطية، 156/1، ومفاتيح الغيب، للرازي، 135/27، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 29/9، والتفسير القيم، لابن القيم ص 16، وتفسير ابن كثير، 17/1، وروح المعاني، للألوسي، 153/6، وفتح القدير، للشوكاني، 497/2، والتمهيد في أصول الفقه، للكلوذاني، 7/1، والموافقات، للشاطبي 383/3- 391، والبحر المحيط في الأصول، للزركشي، 52/6، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية، 355/13-356/ 379.

([264])- أخرجه ابن عبدالبر، جامع بيان العلم وفضـــله، باب إثبات المناظرة والمجادلة وإقامة الحجة، ص 126-127. وكلام ابن عباس يقصد به الخوارج.

([265])- التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، 19/1، والحديث في البخاري، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، 149/1.

([266])- جامع البيان لابن جرير الطبري 132/16.

([267])- ينظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري، 590/2، 43/9، 53/15، 188/15، 110/20، 12/26، 43/29.

([268])- إعلام الموقعين، لابن القيم، 95/4.

ISSN : 2410-1818

صحة قولهم؛ لأن الله أثنى على من اتبعهم، وقرر رضاه عنهم، ومن ذلك: اتباعهم بالقول، والأدلة في فضل الصحابة كثيرة جداً.

رابعًا: إن هذا القول هو المحكي عن السلف رضي الله عنهم، ولم أقف على قول مخالف له في طبقة مفسري السلف، وأقوال السلف أحد مصادر التفسير، حيث تُعد من حيث الترتيب المصدر الثالث بعد القرآن والسنة، والسلف هم القوم المتقدمون الذين ذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله من حديث عبدالله رضي الله عنه: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»[269]، وقد حدد العلماء مصطلح السلف بجيل الصحابة والتابعين وأتباع التابعين[270]، ونقل الإمام النووي الإجماع على ذلك[271]، فالصحابة رضي الله عنهم والسلف من بعدهم، هم أعلم الناس بمصادر التفسير، وأكثرهم حظاً بمعرفة معاني القرآن، والأصل في القرآن أنه واضح لديهم؛ لكونهم شهدوا نزول القرآن، وعرفوا جميع أحواله، والتابعون نقلوا تفسيرهم عن الصحابة؛ لملازمتهم لهم، ودراستهم على أيديهم، وأتباع التابعين نقلوا عن التابعين الذين شهدوا جيل الصحابة، وبالتالي فتفسير التابعي هو امتداد لمدرسة الصحابة رضي الله عنهم، والشواهد على ذلك كثيرة ومتوفرة في الكتب والمراجع التي عنيت بأصول التفسير وعلوم القرآن.

وعدم وجود قول مخالف لهذا القول من السلف يُعد من أقوى الأدلة للرد على أصحاب القول الثاني، ولو كان يحتمل المعنى الآخر؛ لوجدنا من تناوله من السلف أو أشار إليه، فكيف يخفى عليهم مقام إبراهيم عليه السلام ومكانته وشرف منزلته عند الله حتى ينسبوا إليه ما ذهب إليه أصحاب القول الثاني من الكفر والضلال؟! بل الظاهر عنهم أنهم نقلوه عن علم، وخصوصًا أن هذا القول وقع عليه رواياتهم ورأيهم، فلا مجال للرأي فيه، وذلك لأنه لا توجد كلمة في القرآن لا يُعلم معناها بالنسبة لهم، وهذا من المعلوم بالضرورة، ومن المسائل المشهورة لدى أهل العلم[272]، وذكر بعض أهل العلم أن تفسيرهم في حكم المرفوع[273]، وهذا يدل على أن الحق لا يخرج عن قولهم، قال ابن تيمية: "فإنهم أفضل ممن بعدهم كما دل عليه الكتاب والسنة فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم، ومعرفة

([269])- صحيح البخاري، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، برقم (2652) 3/ 171.

([270])- ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، 7/7.

([271])- المنهاج شرح مسلم بن الحجاج، 85/16.

([272])- ينظر: إلجام العوام عن علم الكلام ضمن القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي 272/2، والموافقات للشاطبي 67/2، 285/3، 341/3، ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص 95، والاتقان للسيوطي 181/4، وفضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب الحنبلي (ص29)، والتمهيد في أصول الفقه 288/4، والعدة لأبي يعلى 721/3-723.

([273])- ينظر: المستدرك، لأبي عبدالله الحاكم، 27/1، 123/1، 542/1.

ISSN : 2410-1818

إجماعهم ونزاعهم في العلم والدين خير وأنفع من معرفة ما يذكر من إجماع غيرهم ونزاعهم، وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصومًا وإذا تنازعوا فالحق لا يخرج عنهم، فيمكن طلب الحق في بعض أقاويلهم، ولا يحكم بخطأ قول من أقوالهم حتى يعرف دلالة الكتاب والسنة على خلافه"[274].

خامسًا: استدلال أصحاب القول الثاني بعدم صحة الأسانيد الواردة في روايات أقوال السلف؛ يلزم منه إبطال منهجية عبد بن حميد والإمام الطبري وابن أبي حاتم وابن مردويه وغيرهم من كبار المفسرين الذين نقلوا إلينا روايات السلف وتساهلوا في الأسانيد، ولو تأمل أصحاب هذا الاستدلال في منهج المحدثين المعتنين بالإسناد من قبل، والذين كتبوا في التفسير، لوجدوا أنهم ساروا على ما سار عليه أئمة التفسير الأوائل، من غير اعتراض عليها من جهة الإسناد، ولم يتوقفوا عند صحة النسبة، ومن أبرز هؤلاء العلماء ابن أبي حاتم صاحب كتاب الجرح والتعديل حيث نقل في كتابه[275] الاتفاق على أن الضحاك لم يلق ابن عباس، ومع ذلك نقل أكثر من ثلاثمائة حديث عن الضحاك عن ابن عباس فقال في مقدمة تفسيره مبيناً منهجه في تفسيره من حيث الإسناد: "سألني جماعة من إخواني إخراج تفسير القرآن مختصراً بأصح الأسانيد، وحذف الطرق والشواهد والحروف والروايات، وتنزيل السور، وأن نقصد لإخراج التفسير مجردًا دون غيره، متقصين تفسير الآي حتى لا نترك حرفًا من القرآن يوجد له تفسير إلا أخرج ذلك، فأجبتهم إلى ملتمسهم، وبالله التوفيق، وإياه نستعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله. فتحريتُ إخراج ذلك بأصح الأخبار إسنادًا، وأشبهها متنًا، فإذا وجدت التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم- لم أذكر معه أحدا من الصحابة ممن أتى بمثل ذلك، وإذا وجدته عن الصحابة فإن كانوا متفقين ذكرته عن أعلاهم درجة بأصح الأسانيد، وسميت موافقيهم بحذف الإسناد. وإن كانوا مختلفين ذكرت اختلافهم وذكرت لكل واحد منهم إسنادًا، وسميت موافقيهم بحذف الإسناد، فإن لم أجد عن الصحابة ووجدته عن التابعين عملت فيما أجد عنهم ما ذكرته من المثال في الصحابة، وكذا أجعل المثال في أتباع التابعين وأتباعهم. جعل الله ذلك لوجهه خالصًا، ونفع به"[276].

قال يحيى بن سعيد القطان: "تساهلوا في التفسير عن قوم لا يوثقونهم في الحديث، ثم ذكر ليث بن أبي سليم وجويبر بن سعيد، والضحاك، محمد بن السائب- يعني الكلبي، وقال: هؤلاء يحمد حديثهم ويكتب التفسير عنهم. قال البيهقي: وإنما تساهلوا في أخذ التفسير عنهم، لأن ما فسروا به ألفاظه تشهد لهم به لغات العرب، وإنما عملهم في ذلك الجمع والتقريب فقط. ... وروى عن العباس بن محمد يقول: سمعت «أحمد ابن حنبل» وسئل وهو على باب أبي النضر: هاشم بن القاسم، فقيل له: يا أبا عبد الله، ما تقول في «موسى بن عبيدة» وفي «محمد بن إسحاق»؟ قال: «أما موسى بن عبيدة» فلم

([274])- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، 24/13.

([275])- الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، 4/ 458.

([276])- تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، 1/ 14.

ISSN : 2410-1818

يكن به بأس، ولكنه حدث أحاديث مناكير عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم. وأما «محمد بن إسحاق» فهو رجل تكتب عنه هذه الأحاديث- كأنه يعني المغازي نحوها- فأما إذا جاءك الحلال والحرام أردنا قومًا هكذا، وقبض أبو الفضل- يعني العباس- أصابع يده الأربع من كل يد ولم يضم الإبهام"[277]. ومما يستفاد من كلام البيهقي رحمه الله: أنهم كانوا أئمة في التفسير وأهل تخصص فيُكتب عنهم.

سادسًا: إن القول بأن إبراهيم عليه السلام كان في هذا الموقف ناظرًا يلزم منه أنه كان مشركًا قولٌ باطلٌ لا دليل عليه البتة، ولم يقل بذلك أحد، قال ابن تيمية: "{مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ} سواء قاله على سبيل التقدير لتقريع قومه أو على سبيل الاستدلال والترقي أو غير ذلك، فليس المراد به هذا رب العالمين القديم الأزلي الواجب الوجود بنفسه، ولا كان قومه يقولون إن الكواكب أو القمر أو الشمس رب العالمين الأزلي الواجب الوجود بنفسه، ولا قال هذا أحد من أهل المقالات المعروفة التي ذكرها الناس، لا من مقالات أهل التعطيل والشرك الذين يعبدون الشمس والقمر والكواكب، ولا من مقالات غيرهم"[278]. ولأجل ذلك يظهر بأنه كان في مرحلة البحث عن الإله، وهنا ينبغي عدم الخلط بين نفي الشرك وبين البحث عن الإله، فكونه كان عليه السلام في مرحلة البحث عن الإله فهذا لا يُعد إشراكًا منه بالله، ولا تعتبر منقصة في حقه، ولا تنافي عصمته ومكانته، فالعصمة للأنبياء بعد بعثتهم، وعند أداء الرسالة، أما ما كان في مرحلة الإعداد الإلهي لهم والاختبار فقد يرد منهم الخطأ، وقد يبحثون عن الحقيقة، وذلك شأن بعض الأنبياء، كما قال تعالى عن شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ٨٨ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ **[الأعراف88 :89]**، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عند تفسير هذه الآية: "ظاهره دليل على أن شعيبًا والذين آمنوا معه كانوا على ملة قومهم؛ لقولهم: { أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ }، ولقول شعيب: أنعود فيها { أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ }، ولقوله: { قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم } فدل على أنهم كانوا فيها، ولقوله: {بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ }، فدل على أن الله أنجاهم منها بعد التلوث بها؛ ولقوله: وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ }، ولا يجوز أن يكون الضمير عائدًا على قومه؛ لأنه صرح فيه بقوله: { لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ }؛ ولأنه هو المحاور له بقوله: { أَوَلَوۡ كُنَّا} إلى آخرها، وهذا يجب أن يدخل فيه

---

[277]- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للبيهقي، 1- 35-38.

[278]- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، 311/1.

ISSN : 2410-1818

المتكلم، ومثل هذا في سورة إبراهيم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٣﴾ [إبراهيم:13].[279]

وَقَالَ كذلك: هذا تفسير آيات أشكلت حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير إلا ما هو خطأ فيها، ومنها قوله: {لَنُخْرِجَنَّكَ يَشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا} الآية [الأعراف : 88] وما في معناها، والتحقيق: أن الله سبحانه إنما يصطفى لرسالته من كان خيار قومه حتى في النسب، كما في حديث هرقل، ومن نشأ بين قوم مشركين جهال، لم يكن عليه نقص إذا كان على مثل دينهم، إذا كان معروفًا بالصدق والأمانة، وفعل ما يعرفون وجوبه، وترك ما يعرفون قبحه، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء:15]، فلم يكن هؤلاء مُسْتَوْجبين العذاب، وليس في هذا ما يُنَفِّر عن القبول منهم؛ ولهذا لم يذكره أحد من المشركين قادحًا، وقد اتفقوا على جواز بعثة رسول لا يعرف ما جاءت به الرسل قبله من النبوة والشرائع، وأن من لم يقر بذلك بعد الرسالة فهو كافر، والرسل قبل الوحي لا تعلمه فضلاً عن أن تقر به، قال تعالى:﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ [النحل:2]، وقال: ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر:15]، فجعل إنذارهم بالتوحيد كالإنذار بيوم التلاق، وكلاهما عرفوه بالوحي[280].

وقرر هذا المعنى من المفسرين السدي[281]، وابن جرير الطبري، فقال عند تفسيره لهذه الآية: ﴿قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ﴾ [الأعراف:89] "قال شعيب لقومه إذ دعوه إلى العود إلى ملتهم، والدخول فيها، وتوعَّدوه بطرده ومَنْ تبعه من قريتهم إن لم يفعل ذلك هو وهم: (قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا)، يقول: قد اختلقنا على الله كذبًا، وتخرّصنا عليه من القول باطلًا إن نحن عدنا في ملتكم، فرجعنا فيها بعد إذ أنقذنا الله منها، بأن بصَّرنا خطأها وصوابَ الهدى الذي نحن عليه، وما يكون لنا أن نرجع فيها فندين بها، ونترك الحق الذي نحن عليه"[282]، وقال السعدي: {قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ } أي: اشهدوا علينا أننا إن عدنا إليها بعد ما نجانا الله منها وأنقذنا من شرها، أننا كاذبون مفترون على الله الكذب، فإننا نعلم أنه لا أعظم افتراء ممن جعل لله شريكًا، وهو الواحد

([279])- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، 15/ 29-31.

([280])- المرجع السابق.

([281])- أخرجه الطبري في جامع البيان، 562/12.

([282])- جامع البيان، للطبري، 562/12.

ISSN : 2410-1818

الأحد الفرد الصمد، الذي لم يتخذ ولدًا ولا صاحبةً، ولا شريكًا في الملك، {وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ} أي: يمتنع على مثلنا أن نعود فيها، فإن هذا من المحال، فآيسهم عليه الصلاة والسلام من كونه يوافقهم من وجوه متعددة، من جهة أنهم كارهون لها مبغضون لما هم عليه من الشرك. ومن جهة أنه جعل ما هم عليه كذبًا، وأشهدهم أنه إن اتبعهم ومن معه فإنهم كاذبون، ومنها: اعترافهم بمنة الله عليهم إذ أنقذهم الله منها، ومنها: أن عودهم فيها - بعد ما هداهم الله - من المحالات، بالنظر إلى حالتهم الراهنة، وما في قلوبهم من تعظيم الله تعالى والاعتراف له بالعبودية، وأنه الإله وحده الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له، وأن آلهة المشركين أبطل الباطل، وأمحل المحال، وحيث إن الله منَّ عليهم بعقول يعرفون بها الحق والباطل، والهدى والضلال[283].

ويتضح مما سبق أن نبي الله إبراهيم عليه السلام كان في موقفه المنصوص في سورة الأنعام عند قوله لرؤية الكوكب: (هذا ربي) في مرحلة البحث عن الإله، ولم يكن معتقدًا أو مناظرًا.

([283])- تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، 269.

ISSN : 2410-1818

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلوات الله على عبده ورسوله محمد ابن عبد الله، وبعد:

فبعون من الله أتممتُ هذا البحث، وأختمُ بذكر أهم النتائج والتوصيات:

1- إن القول الذي عليه السلف مقدم على كل قول جاء من بعدهم، فالحق لا يخرج عن قولهم.

2- إن من يأخذ بأقوال السلف فقد آوى إلى ركن شديد، فلا يخفى عليهم مكانة إبراهيم ومنزلته، ومع ذلك وقع عليه قولهم؛ لأنهم نقلوه عن علم.

3- إن التشديد في صحة أسانيد مرويات التفسير يلزم منه إبطال منهجية كبار المفسرين، كابن أبي حاتم وابن حميد والطبري.

4- إن إبراهيم عليه السلام كان ناظرًا سواءً قبل البلوغ أو أثناءه أو بعده، أو قبل الوحي أو ما غلب على ظنه، فهو في مرحلة البحث عن الإله الحقيقي، حيث تُعدُّ مرحلة كمال في شخصيته، وليست نقص، ولا تنافي عصمته، والبحث عن الإله لا يعني الإشراك بالله.

5- إن اليقين الذي وصل إليه إبراهيم عليه السلام تحقق بعد رؤية الكوكب والشمس والقمر، لا قبلها؛ بدلالة سياق المقطع.

6- إن الرُّشدَ الذي آتاه الله إبراهيم عليه السلام من قبل؛ هو البحث عن الإله، ونفي الشرك عنه في الماضي لا يلزم منه معرفة الإله الحقيقي من بداية أمره.

7- إن الحجة التي آتاه الله في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: هي الهداية والإرشاد إلى الحق بدلالة ما قبلها: ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۖ﴾، وسياق الآيات بعدها، حيث كرر امتنانه عليه وعلى الأنبياء من بعده بنعمة الهداية.

8- إن موقف إبراهيم عليه السلام المذكور في سورة مريم كان متأخراً عن موقفه في سورة الأنعام، بدليل افتتاح المقطع في سورة مريم بالنص على نبوته، واختتامه بقرار الاعتزال لأبيه وقومه، ولا يمكن له بعد النبوة أن يقول للكوكب "هذا ربي"، كما لا يمكن بعد الاعتزال أن يعود ليجادلهم في سورة الأنعام.

9- من أخطاء المفسرين محاكمة أقوال السلف وإجماعهم إلى التفسير اللغوي.

وأوصي في ختام هذا البحث بتحرير مواضع الخلاف في قصص الأنبياء والمرسلين، ودراستها، واستنباط أدلة الترجيح من السياق العام للقصة في القرآن كاملًا، والبحث الجاد عند تحرير هذه المواضع.

والله وليُّ التوفيق.

ISSN : 2410-1818

المصادر والمراجع

1. الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب: 1394هـ/ 1974م.
2. أحكام القران لأحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: 370هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1415هـ/1994م.
3. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
4. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لـ: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، 1415 هـ - 1995م.
5. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لـ: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة ط1، 1414هـ.
6. إلجام العوام عن علم الكلام ضمن القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي، مكتبة الجندي، القاهرة.
7. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. البيضاوي، عبد اللّه بن عمر بن محمد الشيرازي. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي(1418هـ).
8. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لـ: ناصر الدين أبو سعيد عبد اللّه بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى - 1418 هـ.
9. إيجاز البيان عن معاني القرآن لـ: محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (المتوفى: نحو 550هـ) تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط: الأولى - 1415هـ.
10. بحر العلوم. تحقيق: محمود مطرجي. السمرقندي، نصر بن محمد بن إبراهيم، أبو الليث. (د.ط). بيروت: دار الفكر.
11. البحر المحيط في التفسير. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أثير الدين الأندلسي. (1420هـ). تحقيق: صدقي محمد جميل. (د.ط). بيروت: دار الفكر.
12. التحرير والتنوير، لسماحة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، الجمهورية التونسية.

ISSN : 2410-1818

13. التسهيل لعلوم التنزيل، لـ: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط: الأولى - 1416هـ.
14. التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م.
15. التَّفْسِيرُ البَسِيْط، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ) أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ط1. عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
16. تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: 283هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى - 1423 هـ.
17. تفسير العز بن عبدالسلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم – بيروت، ط: الأولى، 1416هـ/ 1996م.
18. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط: الثالثة - 1419 هـ.
19. تفسير القرآن العظيم. إسماعيل بن عمر ابن كثير، أبو الفداء. (1999م). تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط2. (د.م): دار طيبة للنشر والتوزيع.
20. تفسير القرآن، لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ) تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ- 1997م.
21. تفسير المراغي. المراغي، أحمد بن مصطفى. (1946م). ط1. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده.
22. تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: 150هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، ط: الأولى - 1423 هـ.
23. تقريب الوصول إلي علم الأصول (مطبوع مع: الإشارة في أصول الفقه)، لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741 هـ) تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1424 هـ - 2003 م.

ISSN : 2410-1818

24. التمهيد في أصول الفقه، لـ: محفوظ بن أحمد بن الحسن أَبُو الخطاب الكَلْوَذَاني الحنبلي (المتوفى: 510 هـ)، تحقيق: مفيد محمد أبو عمشة، ط 1: جامعة أم القرى، 1406هـ.
25. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لـ: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى 1420هـ - 2000 م.
26. تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، 2001م.
27. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، لـ: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: 1376هـ)، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1422هـ.
28. جامع البيان في تأويل القرآن، لـ: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة.
29. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
30. جامع بيان العلم وفضله، لابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1414 هـ - 1994 م.
31. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2013م.
32. الجرح والتعديل، لـ: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن – الهند، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، 1271 هـ 1952 م.
33. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى - 1405 هـ.
34. درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، لـ: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728 هـ) تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية - بيروت - 1417 هـ - 1997م.

ISSN : 2410-1818

35. ديوان الأخطل، لغياث بن غوث الأخطل، دار الفكر (دمشق - سورية)، ودار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، الطبعة: الرابعة (1416 هـ - 1996 م)، الطبعة الأولى (1971 م).
36. ديوان الهذليين، الشعراء الهذليون، ترتيب وتعليق: محمّد محمود الشنقيطي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة - جمهورية مصر العربية، 1385 هـ - 1965م.
37. ديوان أوس بن حجر، لأبي شريح أوس بن حجر بن مالك التميمي، (95 - 2 ق. هـ = 530 - 620 م)، تحقيق: الدكتور محمد يوسف نجم، الجامعة الأميريكية – بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت.
38. رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: 771هـ)، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود. عالم الكتب - لبنان / بيروت، ط: الأولى، 1999م - 1419هـ.
39. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.
40. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597 هـ)، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة، 1404هـ.
41. زهرة التفاسير لـ: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي.
42. شرح تنقيح الفصول، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط: الأولى، 1393 هـ - 1973 م.
43. صحيح البخاري= الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
44. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الثانية، 1414 – 1993م.
45. العدة في أصول الفقه، لـ: القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (ت: 458هـ).

ISSN : 2410-1818

46. العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، لـ: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ) دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط: الثانية، 1426 هـ.
47. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لـ: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: 850هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت، ط: الأولى - 1416هـ.
48. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ.
49. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشيخ محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: د. عبد الرحمن عميره، دار الوفاء، ودار ابن حزم، ط1، عام 2014م.
50. فضل علم السلف على علم الخلف، لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: 795هـ) دار الإمام أحمد، القاهرة، ط1، 1426هـ.
51. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله. (1407هـ). ط3. بيروت: دار الكتاب العربي.
52. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي(2002م).
53. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.
54. لباب التأويل في معاني التنزيل. الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي. (1415هـ). تحقيق: محمد علي شاهين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
55. مجموع الفتاوى، لـ: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م.
56. مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728 هـ) تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، 1426 هـ - 2005 م.
57. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ.
58. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام. (1422هـ). تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ISSN : 2410-1818

59. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تفسير النسفي، لـ: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط: الأولى، 1419 هـ - 1998م.
60. المستدرك على الصحيحين، لـ: أبوعبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405 هـ) ط: دار المعرفة، بيروت.
61. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد(1416)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3.
62. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، لـ: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : 510هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الأولى ، 1420 هـ.
63. معاني القران لـ: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: 338هـ)، تحقيق: د. يحيى مراد، دار الحديث .
64. معاني القران، لـ: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط: الأولى 1408 هـ - 1988م.
65. معاني القران، لـ: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: 207هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط: الأولى.
66. معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
67. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502 هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.
68. مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 3 - 1420 هـ.
69. مقدمة في أصول التفسير لـ: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط: 1490هـ/ 1980م.
70. المنهاج شرح مسلم بن الحجاج، لـ: يحيى بن شرف النووي (ت 676هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 2، 1392هـ.
71. الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي، ت: محمد عبدالله دراز، المكتبة التوقيفية، القاهرة.

ISSN : 2410-1818

72. الموسوعة القرآنية لـ: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: 1414هـ) مؤسسة سجل العرب، ط: 1405 هـ.
73. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.
74. النكت والعيون للماوردي لـ: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ) تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.